روايات غادة

صوفيا ماركوس

غدًا يوم آخر

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الغصيني للنشر والتوزيع
تلفون ٢٧٢٧٨٩٩

غادة

غداً يوم آخر

صوفيا ماركوريس

أثناء قيامها بنزهة على صهوة جوادها، اكتشفت لارا وجلا غريباً وانقذت حياته. كانت دهشتها كبيرة عندما علمت فيما بعد أنه يعمل طبيباً في نفس المستشفى منذ ذلك اليوم. كانت تجد كل الأعذار مناسبة للتقرب منه والتكلم معه.

ولكن... هذا تصرف منطقي، خاصة من المريضة التي يحكم المخطوبة لرجل آخر؟

الأسف، أن قوة غريبة تدفعها نحو د. دارنتل، غير آبهة لاذلاله واحتقاره لها.

- ١ -

انتهى دوام العمل بالنسبة للممرضات في قسم الولادة في مستشفى «واليسبوري»، فتنفست «لارا غروفر» الصعداء وهي تخرج من غرفة التوليد متعبة تجر قدميها جراً.

«أنت لا تزالين هنا، آنسة غروفر؟» سألتها رئيسة الممرضات الآنسة بالمر وهي تنظر الى ساعة يدها.

«بعد كل هذه الولادات اليوم، أعتقد أنه يحق لي بالراحة الآن».

«بالفعل، كان نهاراً متعباً! يبدو أن ممرضات الليل لن تجدن أيضاً دقيقة للراحة، الى اللقاء صباح يوم الاثنين».

«الى اللقاء، آنسة بالمر».

ودعتها لارا وسارت في الممر الطويل تنتعل حذاءً مبسط الكعبين، صحيح أنه ليس أنيقاً، لكنه مريح جداً بالنسبة لهذه المهنة. على كل حال، لم تكن لارا تهتم كثيراً

بأناقتها، فهي تحب البساطة التي تتناسب أيضاً مع ميزانيتها.

ما ان طلبت المصعد حتى سمعت صوت احدى زميلاتها تناديها.

«انتظريني لارا!» قالت زميلتها بصوت لاهث: «يا الهي! لم يعد بإمكاني التحمل أكثر..».

«ولا أنا، جان لحسن الحظ غداً عطلة».

«أتمنى أن تستغلي جيداً اجازة نهاية الأسبوع، هل لديك مشاريع مهمة؟».

«أوه، نعم! يجب أن أنظف المنزل وأساعد أخي في تنظيف الاسطبلات وأن أهتم بالجياد! لحسن الحظ، ستسنح لي الفرصة لركوب الخيل في الغابة!».

اتجهتا معاً نحو غرفة الملابس.

«كيف حال شقيقك لارا، بعد ذلك الحادث، هل أصبح بإمكانه ركوب الخيل؟».

«لا. لا يزال مارك يعرج قليلاً، لحسن الحظ، تأتي خطيبته هيلين لمساعدته أثناء أوقات فراغها، ويستعين أيضاً بشابين من البلدة، كما وأن هناك اندريه».

«اندريه.. نعم، ألم تعلنا خطوبتكما بعد؟».

«لا» أجابتها لارا مبتسمة وكانت معتادة على فضول جان.

«لكنكما لا تزالان تخرجان معاً، اليس كذلك؟» ألحت جان.

«نعم.. ولكن قليلاً، فهو مشغول دائماً».

«أعتقد أنه بيطري ناجح».

«نعم، وهو صديق لمارك منذ الطفولة. وأنت جان، ألا تزالين تخرجين مع الدكتور راندل؟».

«أوه لارا! أتمنى لك أن لا تقعي أبداً بحب أحد هؤلاء الأطباء المبتدئين! انهم يطلبون منك كل شيء، ولكن ما ان يشعروا بأن الأمر أصبح جدياً حتى يهربوا ويتركوك ليأسك. يبدو أن لا مستقبل معهم!».

ضحكت لارا وخرجت مع زميلتها.

«لا تقلقي، لا أنوي أبداً الزواج من طبيب، حتى ولو كان رئيساً لهذا المستشفى لا أحب الارتباط بطبيب أعمل معه، هذا أمر ممل جداً».

كانت جان تسكن قريباً من المستشفى، فقادت لارا سيارتها وسلكت طريق المنزل.

كان والدها قد توفي اثر أزمة قلبية منذ عامين وقد ترك لها ولأخيها المنزل واسطبلاً للجياد يضم عدداً منها مع الأسرجة، وكل ما جمعه في سنوات حياته. ان الاسطبلات أشبه بالمتحف وهو يجذب العديد من السياح.

كانت الشمس تميل الى المغيب فوق المرفأ الصغير، والعصافير تزقزق على الأشجار. المستشفى يقع على ساحل البحر ولا يبعد عن منزلها سوى مسافة عشرين دقيقة في السيارة.

وأخيراً وصلت الى حدود الغابة القريبة من منزلها. كم تحب هذه الغابة التي تعرفها جيداً منذ طفولتها، وكم تحب الخريف وأوراق الأشجار اليابسة وصوتها تحت حوافر

حصانها!.

ها هو الصيف قد انتهى بسرعة لدرجة أنها لم تتمتع به كعادتها كل عام، كان عملها في المستشفى يستغرق كل وقتها بالاضافة الى عملها في المنزل. أما أجمل أوقاتها فكانت تقضيها على صهوة جوادها.

كان اندريه يرافقها في بعض نزهاتها وكانت تحلم بأن تتمكن ذات يوم من مشاركته مشاعر الحب العميقة التي يكنها لها. انه رفيق لطيف، قليل الكلام وطبيب بيطري ناجح. نعم، ولكن..

تنهدت وهي تفكر بالعلاقة المتينة التي تربط بين أخيها مارك وهيلين. لارا لا تشعر بمثل هذه العاطفة نحو اندريه ولا تتحمل اندفاعه العاطفي نحوها مع أن كل الفتيات يحسدنها على هذا الشاب الوسيم اللطيف.

وصلت الى المنزل الذي يتخذ شكلاً جميلاً وسط هذه الطبيعة الرائعة. كم تحب هذا المنزل!.

تذكرت الحزن الذي بدا على اندريه عندما رفضت طلبه بالزواج منها.

«لارا، أنت لا تحبينني!» كان قد قال لها بيأس.

«أوه، اندريه، أعتقد أنني أحبك، ولكن لا تسرّع الأمور، أريد أولاً أن أكون واثقة من نفسي».

«حسناً» أجابها بخيبة: «لن أطرح عليك هذا السؤال قبل أسابيع، ولكن يجب أن أعلم حقيقة موقفك مني، أنت تفهمين ما أعني، اليس كذلك؟».

كانت لارا تريد أن تكون صادقة معه، ولكن كيف تفهم

هي حقيقة مشاعرها.

كان مارك يقفل الاسطبلات عندما وصلت، وكان يستند على عصاه.

«لقد تأخرت، ما الذي أخّرك؟».

«المرضى، بالتأكيد! عد الى المنزل وسأنهي أنا عملك، هل ستأتي هيلين هذا المساء؟».

«ستأتي في الساعة الثامنة» أجابها واتجه نحو المنزل.

انضمت لارا اليه بعد قليل فلاحظت أنه قد تناول الطعام مع أحدهم.

«مع من تناولت الطعام؟» سألته.

«مع اندريه. لقد شعر بخيبة كبيرة لأنه لم يرك».

بينما كانت تتناول طعامها، جاءت هيلين، بعد حديث قصير بينهما، فضلت لارا أن تترك الخطيبان وحدهما ودخلت الى غرفتها وهي تتساءل ماذا ستفعل عندما يتزوجان وتنتقل هيلين للاقامة في هذا المنزل نهائياً.

للحقيقة، كانت لارا تخشى حدوث بعض المتاعب، خاصة وأن هيلين ليست معتادة على الأعمال المنزلية، وان لارا منذ وفاة والدتها منذ خمسة أعوام وهي تدير المنزل وتحضر الطعام، فكيف ستتدبر هيلين الأمور وتتحمل مسؤولياتها؟.

على كل حال، ستحل هذه المشكلة في وقتها. فكرت لارا واستلقت على سريرها، لكنها لم تنم حتى ساعة متأخرة هذه الليلة. استيقظت باكراً في صباح اليوم التالي وقررت أن تمتطي حصان أخيها وتقوم بنزهة في الغابة.

في سكون الصباح، لم تكن تسمع حولها سوى وقع حوافر الحصان على الأرض اليابسة. كانت حركة السيارات تصل الى مسامعها من الشارع الذي يحد الغابة. تركت لارا العنان لحصانها ولم توقفه الا عندما وصلت الى أشجار الصنوبر، حيث أخذت تتأمل المنظر وتتنشق عطر الصنوبر المنعش.

«آه، انه نسيم ينعش النفس حقاً» قالت متنهدة وربتت على ظهر حصانها: «اليس كذلك، غراي لاد؟» أضافت موجهة كلامها الى الحصان.

اعتقدت للوهلة الأولى أنه يجيبها بصهيله القصير، لكنه في الواقع كان قد سمع قبلها وقع حوافر جواد آخر يقترب. بعد لحظات قصيرة، رأت لارا فارساً يمتطي جواداً ويسلك طريق الشعاب. ان الفارس هذا كان عاري الرأس والهواء يتلاعب بشعره.

«يا الهي!» قالت لارا بدهشة: «كم يبدو مسرعاً!».

أيعتقد أنه يسير في الصحراء؟ حتى أنه لا يضع قبعة واقية على رأسه! ألا يعرف قوانين الفروسية؟».

تابع الحصان الآخر طريقه دون أن يراها فارسه، فتابعت لارا نزهتها واتجهت نحو قمة التلة وهي تتساءل عمن يكون هذا الفارس. لكنها أعجبت كثيراً بالحصان، فنظرة واحدة منها تكفي لتتعرف على الحصان الأصيل.

بعد قليل، سلكت لارا طريق العودة الى المنزل، لكن دهشتها كانت كبيرة، عندما رأت الحصان الأصيل يقف تحت احدى الأشجار، ولكنها لم تر فارسه. نظرت حولها

وتساءلت أين هو فارسه وأحست بأن هناك شيئاً لا يسير على ما يرام.

ربطت حصانها بجزع شجرة وأخذت تتفحص المكان حولها كانت على وشك العودة الى حصانها عندما لاحظت حذاءً رجالياً بنياً يظهر خلف جزع سنديانة قديمة.

عندما لم يتحرك شيء أمامها، اقتربت بحذر وانتفضت مذعورة عندما رأت الرجل ممدداً على الأرض بدون حراك.

لا بد أن هذا الغصن الكبير المكسور هو الذي تسبب بسقوط الرجل عن حصانه. كان الدم لا يزال ينزف من جرح مفتوح على جبهته، انه فاقد الوعي.

جست نبضه فلاحظت أن نبضه ضعيف، يجب أن تساعده! قلبته على جنبه كي لا يختنق، فاكتشفت جرحاً على صدره. سدت بمنديلها جرح صدره وتأملته لحظات قليلة ثم امتطت حصانها بسرعة واتجهت نحو الطريق العام. لحسن الحظ، التقت بسيارة فوعدها السائق بأنه سيخبر مركز الشرطة بالأمر.

عادت لارا لتبقى بجانب الفارس المصاب، فوجدته أكثر شحوباً ولاحظت أن تنفسه غير منتظم.

دست يدها في صدره فلاحظت أن لديه ضلعاً أو ضلعين مكسورين فالأفضل أن لا تحركه بانتظار وصول الاسعاف، وأخذت تصلي كي يصلو بسرعة.

عندما جست نبضه مرة ثانية، لاحظت أنه يضع ساعة يد ذهبية، وأن يديه الناعمتين ليستا أبداً يدي عامل يدوي.

وأخيراً، سمعت صفارة الاسعاف والشرطة.

«الحمد لله، أنتم لم تتأخروا» تمتمت بيأس بينما كان رجال الاسعاف يركضون حاملي الحمالة.

نقلوا المصاب الى الحمالة بدقة كبيرة وانطلقت سيارتهم مسرعة الى المستشفى بينما بقي رجال الشرطة يستجوبون لارا..

«هل هذا الحصان له؟» سألها أحد الشرطيين.

«بدون شك».

«ألا يوجد أي دليل يشير الى هويته؟».

«لا».

«من حسن حظه أنك كنت في المنطقة ورأيته، ما اسمك؟».

«لارا غروفر، أعمل ممرضة في مستشفى واليسبوري حيث نقلوه، وأسكن قريباً من هنا».

«نتمنى أن لا تكون اصابته خطيرة».

«أقترح أن أصطحب الحصان الى منزلي، لدينا اسطبل يأويه، ريثما تعرفوا هوية صاحبه».

«حسناً» أجابها الشرطي ثم حصل منها على عنوانها: «أيمكنك أن تقودي الحصانين معاً؟».

«سأحاول ذلك» أجابته لارا بشجاعة.

للأسف، لم تكن مهمتها سهلة، فما أن اقتربت من الاسطبلات حتى أصبح الحصان متوتراً. فاليوم هو الأحد، والزبائن يحتشدون في باحة الحديقة.

ساعدها مارك في وضع الحصانين في الاسطبل ثم سألها

عن الأمر.

رمت نفسها على المقعد الخشبي ومسحت العرق المتصبب على جبينها.

«لو فكر فقط بحماية رأسه» قالت بعد أن أخبرته بما حصل: «أعتقد أن حالته خطيرة».

«كم عمره؟».

«يبدو أنه تعدى الخامسة والثلاثين، لست أدري تماماً لأن وجهه كان مغطى بالدماء. لا بد أن الشرطة ستتعرف قريباً على هويته، حتى ذلك الوقت سنهتم بحصانه».

«بالتأكيد، فهو حصان أصيل. ربما بإمكان اندريه التعرف اليه».

«هذا ممكن.. على كل حال سيأتي اندريه بعد الظهر».

«ادخلي الى المنزل وارتاحي قليلاً الآن».

ظلت صورة الرجل المجهول تراودها طوال الوقت، فتخيلته في المستشفى. لا بد أنهم عرفوا هويته وأخبروا عائلته. ولكن لماذا كان يخيل بهذه السرعة؟ رغبت بالاتصال بالمستشفى للسؤال عنه، لكنها غيّرت رأيها وقررت أن تستخبر عنه صباح يوم الاثنين.

ارتعشت عندما فكرت بأنه كان سيموت بالتأكيد لو لم تكن هي هناك وتطلب له الاسعاف، فمن كان سيجده في تلك الغابة؟.

وصل اندريه بسيارته في اللحظة التي كانت فيها لارا تجمع الغسيل الجاف عن الحبال.

«ها هي سيدة المنزل الصغيرة!» قال اندريه وهو يقترب

منها. بعد أن رأى الحصان في الاسطبل عاد الى المطبخ وقال لها: «يبدو أنك عثرت على حصان رائع هذا الصباح».

«ألا تعرف صاحبه؟».

«أعتقد أن مالكه الأول هو الكولونيل ماين. ولكنه باعه لشخص لا أعرف اسمه. لن تتأخر الشرطة بمعرفة هويته» ثم اقترب منها وضمها اليه.

«اندريه..».

«لم أرك منذ أسبوع، أفتقدك كثيراً» قال معاتباً.

أحست بأنفاسه الدافئة على عنقها، فابتعدت عنه بجفاف.

«هيا، لارا، دعيني أقبلك..».

لكنه عقد حاجبيه عندما لاحظ جفاءها.

«أنا لا أفهمك لارا!».

«أنا آسفة، ولكني قاسيت كثيراً هذا اليوم، ما رأيك لو نخرج هذا المساء؟».

«يسعدني ذلك» أجابها مبتسماً: «على كل حال، سأترك رقم الهاتف في منزلي، لأي طارىء. ولكن الى أين ترغبين بالذهاب؟».

«تعالى لاصطحابي في الساعة الثامنة، وعندها سنقرر».

عندما عاد في الوقت المحدد، كان يبدو قلقاً، فشرح للفتاة أنه مضطر للعودة الى المزرعة التي كان فيها في الصباح ليراقب بقرة على وشك الولادة.

«اذا كان الأمر لا يزعجك، لارا» قال متردداً: «سنمر

لرؤيتها قبل ذهابنا الى المطعم».

«اليس مساعدتك الجديدة بالقرب منها؟».

«لا، انها بجانب والدتها المريضة».

«اذاً ليس أمامنا خيار آخر، سأنتظرك في السيارة».

رافقته لارا، لكن للأسف، كانت ولادة العجل السمين صعبة، وعندما أنهى اندريه عمله كان الوقت قد أصبح متأخراً.

«أنا آسف، يا عزيزتي».

«الذنب ليس ذنبك، اندريه، انه عملك وأنا لا ألومك».

عادا الى المنزل، فوجدا مارك وهيلين يجلسان قرب المدفأة، وزجاجة الشمبانيا بجانبهما.

«هل أزف لهما الخبر؟» قال مارك يسأل هيلين بسعادة ظاهرة.

«حسناً، لا بأس» أجابته هيلين بخجل.

«قررنا أن نتزوج في بداية فصل الصيف».

«أوه» صرخت لارا: «هذا خبر رائع».

كانت حقاً سعيدة من أجلهما لأنها تعرف مدى حبهما لبعضهما. كان اندريه يراقبها بحزن فابتسمت له وتمنت لو يمكنها اسعاده أيضاً، لكنها حتى الآن لا تزال تشك بحقيقة عواطفها نحوه.

عندما انتهت السهرة، استأذن اندريه، فتركت لارا الحبيبين وحدهما ودخلت الى غرفتها لتفكر جدياً بحياتها العاطفية.

ماذا تنتظر من اندريه طالما أنها لم تعد تنتظره بشوق

كبير كما كان يحصل في الماضي؟ جلست في سريرها وتناولت رواية لم تتمكن من قراءة الا صفحتين منها. يجب أن تنام لكي تبدأ عملها بهدوء صباح الغد.

لكن ما أن ألقت رأسها على الوسادة حتى بدأت الصور تتلاحق في مخيلتها. ووجه ذلك الرجل المجهول تردد أمامها كثيراً: «كم كان شاحباً!..».

هل علمت عائلته؟ هل أجريت له عملية؟ لماذا لم تتصل الشرطة؟ قبل أن تغرق في النوم دهشت في نفسها لأنها تفكر بهذا الرجل المجهول.

صباح يوم الاثنين، نهضت باكراً ولم يكن يشغل بالها شيء آخر سوى عملها. كانت لارا تهوى عملها وتؤديه بعناية كبيرة، فهي تهتم بالمرضى وتدير الطالبات الممرضات كي يصبحن مؤهلات لعملهن في المستقبل.

مع ذلك، كانت لارا تفضل أن تعمل في قسم الجراحة أو الطب العام حيث يمكنها أن تتعرف أكثر على المرضى الذين تطول اقامتهم أكثر من مرضى قسم الأمومة.

«اذاً، كيف كانت الاجازة؟» سألت لارا احدى زميلاتها.

«كان لدينا الكثير من العمل، وهذا الصباح دخلت امرأة جديدة ويبدو أن ولادتها متعسرة».

أسرعت لارا على غرفة التوليد لتكون بجانب الأم التي توشك على الولادة. من نظرة واحدة فهمت أنه من الأفضل أن تنادي للطبيب المشرف. لكن للأسف، كان قد فات الأوان عندما وصل لأن الأم وضعت ولداً ميتاً.

وبالرغم من تأثرها الكبير أمام مثل هذا الحادث المؤلم،

تمالكت لارا نفسها بسرعة، يجب أن تهتم بالأمهات الأخريات وأن تساعدهن على وضع أولادهن.

طلبت لارا من مساعدتها أن تنقل الوالدة التي فقدت طفلها الى غرفة بعيدة عن بقية الغرف كي لا يزداد حزنها عند سماعها بكاء الأطفال الحديثي الولادة.

في الساعة السادسة انتهت لارا من عملها وتمكنت أخيراً من الاتصال بقسم الطوارىء للاستعلام عن ذلك الرجل المجهول الذي دخل المستشفى صباح يوم السبت الماضي.

كانت تعرف جيداً الممرض الذي أجابها على الهاتف والذي اعتقد أنها تمزح عندما سألته عن ذلك المصاب.

«ولكن كيف لارا؟ أحقاً لا تعرفين هذا الرجل؟».

«نعم، جون أنا لا أعرفه، على كل حال، كيف حاله؟».

«انه الدكتور دارتنل الرئيس الجديد للعيادة الذي حل مكان السيد غرانت».

«هذه أول مرة أراه فيها، كيف كان بإمكاني أن أتعرف عليه؟».

«كنت موجودة أثناء سقوطه عن جواده؟».

«نعم، أنا التي وجدته، كان يتنزه على حصانه في الغابة، ولكن أرجوك، جون لا تخبره شيء».

«لقد أنقذت حياته عندما طلبت له النجدة بسرعة، لا بد أنه سيطرح الكثير من الأسئلة».

«أصر على أن لا يعلم شيئاً، عدني بأنك لن تخبره،

جون».

«حسناً، لارا كما تشائين».

أقفلت لارا السماعة بشرود. اذاً هو طبيب ومسؤول أيضاً في نفس المستشفى!.

علمت من جون أنه نقل الى غرفة الانعاش حيث تعمل صديقتها سو غراهام. مع قليل من الحظ، قد تراها اليوم وتتمكن من سؤالها عنه.

بدون تردد، اتجهت نحو المبنى الثاني من المستشفى على أمل أن تلقى زميلتها وتسألها عن ذلك الطبيب.

ما ان دخلت الى القسم حتى القت نظرة سريعة عبر الباب الزجاجي وتنهدت بسرور عندما رأت سو غراهام تخرج من احدى الغرف.

«من؟ لارا!» صرخت صديقتها بدهشة: «أتبحثين عن أحد؟».

«نعم» تمتمت لارا خشية أن يسمعها أحد: «جئت أسأل عن د. دارتنل، انه هنا اليس كذلك؟».

«نعم، لماذا؟» سألتها بدهشة.

«كيف حاله؟».

«لقد أصيب بارتجاج في الجمجمة مع جرح وضلعين مكسورين. حالته ليست خطرة جداً. وهو لا يزال في شبه غيبوبة. يبدو أنه سقط عن حصانه، أتعرفين؟».

«نعم، أنا من وجده في الغابة صباح السبت وطلبت له الاسعاف».

«أوه، يا لها من صدفة!».

«نعم. كما وأنني لم أكن أعلم من هو. أتعتقدين أن بإمكاني رؤيته؟ ألم يتلقى زيارات؟».

«لا، لم يأت أحد لزيارته. اذهبي لرؤيته اذا أردت. لن يعرف شيئاً لأنه ليس واع تماماً».

دخلت لارا الى الغرفة على رؤوس أصابعها فرأت أن الوجه الذي حفرته في ذاكرتها لا يزال شاحباً وبدون حراك، انقبض قلبها وهي تتأمله بصمت.

في اللحظة التي همت بها بالخروج رأت الدكتور غراي يتحدث مع صديقتها سو في آخر الممر، فتذكرت بعد فوات الأوان أنها لم تطلب من سو أن لا تخبر أحداً بأنها هي من أنقذ د. دارتنل.

عندما خرجت ابتسم لها د. غراي.

«اذاً أنت كنت هناك أثناء الحادث؟ سيكون الدكتور دارتنل ممتناً جداً لك عندما يعلم».

«أرجوك، دكتور» قالت له متوسلة: «لا تقول له شيئاً، لا أريد أن يعرف أحد بالأمر».

«ولكن.. لماذا؟ حسناً، اذا كنت ترغبين بذلك، سألزم الصمت».

«شكراً لك» قالت له وهي تبتعد.

في المساء، رن جرس الهاتف فرفع السماعة شقيقها مارك.

«انه اندريه» قال وهو يناولها السماعة.

أخذتها منه بملل. كانت متعبة ولا ترغب الا بالنوم.

«مساء الخير، لارا» قال اندريه بمرح: «أنا أدعوك

لتناول العشاء في الخارج. لم تسنح لنا الفرصة للخروج مساء السبت الماضي، يجب أن أعوض تلك السهرة».

«ولكن اليوم هو الاثنين».

«لقد حجزت طاولة في المطعم».

«ولكني متعبة و..».

«أعدك بأنها ستكون سهرة لطيفة».

وافقت لارا أمام اصراره وارتدت ثوباً أخضر أنيقاً يتناسب لونه مع شعرها الأشقر.

وصل اندريه في الوقت المحدد وقرأت في عينيه نظرات الاعجاب التي لم تجرؤ على التعبير عنها لأنه كان يعلم بأن لارا لا تحب الاطراءات.

كان المطعم يقع في الطرف الآخر من الغابة، فتوقف اندريه قبل وصوله الى المرآب الخاص بالمطعم. كان الظلام حالكاً والطريق خالياً.

«لماذا توقفت هنا؟».

«أريد أن أكلمك» قال ملتفتاً نحوها: «فأنا قلما أراك وحدك».

«هذا لأن ساعات فراغنا ليست نفسها».

«أريد أن أطرح عليك السؤال مرة ثانية: لارا، أتريدين الزواج مني؟ يجب أن تقرري الآن بدون مماطلة» ثم أمسك يدها بحنان بينما ظلت تبحث عن جواب.

«اسمعي لارا، أنت تعرفين مشاعري نحوك، أرغب بأن تكوني زوجتي. هذا كل ما في الأمر، أم أن هناك أي مانع؟ في البداية كنت تزعمين أنك لا تريدين أن تتركي

مارك وحده. ولكنه سيتزوج بعد بضعة شهور، فلماذا لا نتزوج نحن أيضاً».

وضمها اليه بشكل مفاجيء وحاول تقبيل شفتيها. لكن لارا دفعته عنها.

«أوه، اندريه..» قالت متلعثمة والدموع في عينيها: «لا يجب أن..».

«لماذا؟» قال بحدة: «ألا تشعري بحبي؟ ألا تعلمين أن..».

«أرجوك.. لا تسرّع الأمور.. لست متأكدة من نفسي ولا أريد أن أتخذ قراري بسرعة».

ابتعد عنها وقال بيأس: «هل تحبين رجلاً آخر؟».

«لا».

ابتسم اندريه وأحاط كتفيها بذراعه.

«نحن متفاهمان، اليس كذلك؟» سألها متمتماً.

«نعم، تعجبني رفقتك اندريه».

«على الأقل، هذا ما أقتنع به.. أنا أنتظر ردك منذ زمن طويل، وأرجو أن لا تفرضي عليّ الانتظار وقتاً أطول».

«هذا القرار يحدد مستقبلنا، أرجوك دع لي وقتاً للتفكير».

«لو كنت تشعرين نحوي بنفس مشاعري لما ترددت أبداً!».

«أنت لا تترك لي مجالاً للتفكير. من الأفضل أن لا نرى بعضنا لبعض الوقت كي أتمكن من اتخاذ قراري».

«حسناً، هذه فكرة معقولة» قال بحدة وأدار محرك

السيارة.

عندما أوقف سيارته في مرآب المطعم لاحظ دمعة على خد لارا، فأمسك يديها وتأملها بحنان.

«هيا، لارا، لن نفسد هذه السهرة. ولكن أنت تعلمين أنني لن أيأس» ثم نزل وفتح لها باب السيارة.

بالرغم من ذلك، كانت السهرة لطيفة خاصة وأن اندريه كان يعرف كيف يكون مرحاً، فاستسلمت لارا لمرحه محاولة أن تنسى همومها المهنية. على كل حال، كان لديهما العديد من الأصدقاء المشتركون ولهذا لم ينقصهما موضوع للحديث.

بعد العشاء، أعادها الى المنزل مباشرة وقال لها: «تصبحين على خير» دون أن يجرؤ على محاولة تقبيلها من جديد.

في اليوم التالي، انشغلت تماماً في عملها، كان هناك امرأة على وشك الوضع وتصرخ من شدة الألم. فنادت لارا الطبيب وطلبت من المريضة أن تهدأ: «أنت ترعبين الأخريات بصراخك. سنهتم بك، وكل شيء سيسير على ما يرام».

بعد ساعتين، وضعت السيدة مولوداً رائعاً حملته بسعادة كبيرة بين يديها.

في الغرفة الثانية، كانت تتم عملية ولادة، أخرى بطريقة «بدون ألم» فالأم كانت قد خضعت طوال فترة الحمل لجلسات رياضية خاصة بالاسترخاء. وهكذا تمت الولادة بدون صراخ وبجو من الهدوء. تأثر الوالد الذي ظل مع

زوجته حتى لحظة الولادة وحمل ابنته بانفعال وتأمل زوجته باعجاب.

شعرت لارا بالسعادة من أجل هذين الوالدين وكانت تريد أن تتصل بصديقتها سو لتسألها عن الدكتور دارتنل، لكنها لم تجد متسعاً من الوقت لذلك.

عندما غادرت المستشفى، نظرت الى نافذة قسم العناية الفائقة وتساءلت عن حال رئيس القسم الفاتن.

جلست خلف مقود سيارتها وهي تتنهد. عند عودتها الى المنزل، أخبرها شقيقها بأن الشرطة زارته بخصوص الحصان الأصيل.

«لقد طلبوا مني أن أهتم به لبضعة أيام أخرى وقبلت. أتساءل كيف لم تعرفي صاحبه مع أنه يدير قسماً في نفس المستشفى».

سألها مارك بدهشة فشعرت بأنه يتهمها بأنها تخفي عنه شيئاً، هذا أمر سخيف، ومع ذلك فهي تفكر كثيراً بالطبيب المصاب.

اتصلت سو بها بعد يومين وطمأنتها عنه.

«لقد عاد الى وعيه، لكنه لا يزال متألماً».

«ألا يذكر شيئاً عن سقوطه؟» سألتها لارا بقلق.

«بالتأكيد هو لا يعرف كل شيء، ولم يسأل عنك» قالت سو ممازحة.

«أوه سو، أتسخرين مني؟».

«على كل حال هو ليس بالشرير! بإمكاني أن أؤكد لك أنه النجم الساطع بين كل الأطباء، لكنه يكره أن يهتم

الأخرون به، ويرغب بمغادرة المستشفى! تصوري أنه فور عودته الى وعيه سألني عن حصانه».

«وماذا قلت له؟».

«قلت له بأنه عند بعض أصدقائي».

اطمأنت لارا على صحته، فوعدت نفسها أن لا تفكر به بعد الآن. على كل حال، لن تسنح لها الفرصة لمكالمته. الا اذا عملت معه في نفس القسم وهذا محتمل جداً، أو اذا جاء ليأخذ حصانه وصادف أنها كانت موجودة في تلك الساعة..

بعد ظهر اليوم التالي، واجهت لارا تعقيدات في العمل مع مرضاها حتى أن أحد المواليد عانى من صعوبات في التنفس، فبذلت لارا جهداً كبيراً أعطى فاعليته بعد قليل، وعندما صرخ المولود أول صرخاته وبدأ صدره يعلو ويهبط بانتظام، أحست لارا بالراحة وبفوز جديد على الموت.

عندما حملت الرضيع الى أمه حملته بسعادة وتأملها الزوج بحنان وقد نسي على الفور كل لحظات القلق السابقة.

في هذه اللحظة جاءت ممرضة أخرى وطلبت من لارا أن تقابل رئيستها في المكتب. اتجهت لارا نحو المكتب وهي تتساءل عن سبب هذه الدعوة.

«تفضلي بالجلوس، آنسة غروفر، تبدين مرهقة، ليس هناك ما يثير الدهشة، فقد كان أسبوعاً متعباً حقاً. حسناً، يجب أن أعلن لك وبأسف كبير أننا لن نعمل معاً في نفس القسم، لقد تم نقلك الى قسم الطب العام. وأنا سعيدة

بترقيتك هذه وأقدّم لك التهنئة الصادقة».

تفاجأت لارا كثيراً بهذا الخبر السعيد.

«صحيح أنني سأفتقد للأطفال الرضع، لكني أيضاً أفضل العمل في قسم الطب العام».

«أنت تستحقين هذه الترقية، لارا، أتمنى لك حظاً سعيداً».

«شكراً لك، آنسة بالمر» قالت لارا وهي تنسحب.

فور عودتها الى المنزل أسرعت لتزف الخبر لأخيها.

«أتفضلين حقاً الاهتمام بالمرضى المتألمين أكثر من الأطفال الرضع؟» سألها أخوها بدهشة.

«نعم، سأشعر بفرح كبير عند معالجتهم وعند رؤيتهم يغادرون المستشفى وقد شفوا من آلامهم».

«حسناً، هل رأيت الخاتم الذي سأقدمه لهيلين؟».

«حقاً اشتريته؟ ماذا اخترت؟».

«خاتماً من الماس. الموسم كان جيداً هذا العام كي أتمكن من شراء هذا الخاتم.. لارا، متى ستتخذين نفس القرار؟ اندريه لا ينتظر الا اشارة صغيرة منك».

«هذا يناسبك أنت، كل ما تريده هو أن أترك المنزل لتعيش فيه بهدوء مع هيلين».

تفاجأ مارك بلهجتها العدائية وكانت تبدو على وشك البكاء.

«ولكن لا، ليس الأمر كذلك! أنت تعرفين كم يحبك اندريه».

«نعم، ولكني أرفض أن أتخذ قراراً سريعاً بالنسبة

للزواج. يجب أن تنتظر أنت أيضاً، مارك!».

«أعذريني لارا، لم أكن أريد ايلامك..».

«الأمر بيني وبين اندريه مختلف عنه بينك وبين هيلين».

«بالمناسبة، لقد اتصل اندريه وقال بأنه سيأتي ما ان ينتهي من عمله».

تلقت لارا الخبر بدون حماس كانت متعبة ولا يزال لديها بعض المهام المنزلية لتقوم بها.

عندما وصل البيطري الشاب، كان سعيداً جداً وهو يروي لها كيف تمكن من انقاذ عجل صغير، حاولت لارا أن تعيره بعض الاهتمام لكنه سرعان ما لاحظ أنها تقاوم النعاس.

«مسكينة أنت لارا! أنت بحاجة للنوم أكثر من الاستماع الى قصصي، أنت تعملين كثيراً».

«أنت على حق اندريه» قالت وهي تتثاءب.

استلقت على سريرها وهي تفكر بأنه يجب عليها أن تبذل جهداً كبيراً كي لا تسبب لاندريه خيبة كبيرة. انها ترغب بأن تعيش الحب بشكل مثير أكثر ولكنها لا تتقبل محاولات اندريه للتقرب منها ولا يحتل مكاناً في احلامها. لقد باتت متأكدة أنها لا ترغب بالزواج منه، على الأقل حالياً.

عندما انتهى دوام عملها في اليوم التالي، خلعت زي التمريض وارتدت ثوبها ومعطفها واتجهت نحو قسم العناية الفائقة. في الممرات، التقت ببعض الممرضات والأطباء المنهمكين وسرعان ما وصلت الى غرفة الدكتور دارتنل.

قبل أن تدخل، نظرت الى الداخل من خلال الزجاج. كان رأسه لا يزال محاطاً باللفائف ووجهه شاحباً. ولا يوجد في الغرفة الا باقة واحدة من الأزهار.

كان د. دارتنل ينظر باتجاه النافذة ولم يلاحظ الفتاة التي دخلت بخطوات مترددة. عندما اقتربت من سريره، رآها أخيراً.

«ماذا تريدين؟» سألها بجفاف.

«أنا.. كنت أريد..» قالت متلعثمة.

«لا بد أنك أخطأت بالغرفة».

«نعم.. أعذرني..» وخرجتْ راكضة تحت المطر حتى وصلت الى سيارتها.

لو كانت زارته مرتدية زي العمل، لربما كان استقبلها بلطف. كانت فقط تريد أن تخبره بأن حصانه بخير عندها، بدون شك كان سيطمئن. لكن لماذا كانت ملامحه بائسة لهذه الدرجة؟ أي همٍّ يخبىء خلف نظراته؟ لماذا كان مسرعاً في ذلك اليوم عندما تعرض للحادث؟ هذا الرجل يحيرها، لقد أثار فضولها لتعرف المزيد عنه.

في صباح يوم الاثنين التالي استلمت عملها الجديد وسرعان ما تعرفت على روتين هذا العمل وعلى حالة كل مريض. كان عدد كبير من المرضى يعالجهم د. دارتنل، فقرأت ملاحظاته في ملفاتهم. وأصبحت تعلم الآن أنه متخصص في علم الدم والجميع يقدرونه وخاصة زملاؤه الذي يتمنون له الشفاء العاجل.

من بين المرضى ذلك الصبي الذي في الثانية عشرة من

عمره والذي يشكو من الآم حادة في مفاصله، وكان د. دارتنل قد طلب له عدة فحوصات.

وصلت النتيجة اليوم فاطّلع عليها د. باغيت وأبدى تشاؤمه.

«كما ترين.. د. دارتنل كان يتوقع ذلك، انه ليس مجرد روماتيزم في المفاصل، ولكنه مرض ابيضاض الدم أي سرطان الدم».

«أوه، يا للصبي المسكين» قالت لارا بانفعال.

انضمت اليهما رئيسة القسم الآنسة شاريل وقالت: «سيُنقل د. دارتنل الى هذا القسم، هيا آنسة غروفر، أعدي له الغرفة رقم ٣٠ كي يكون بعيداً قدر الامكان عن الضجيج. أنت لم تعملِ معه من قبل ولهذا لا تعرفين لأية درجة هو دقيق ومتطلب. صحيح أنه أفضل أطباء الدم، لكن من الصعب ارضاءه».

شعرت لارا بفرح كبير لم تفهم سببه. اذاً الدكتور دارتنل أصبح بصحة أفضل، ولكن ماذا يعنيها من هذا الأمر؟.

«أنت تعلمين» أضافت الرئيسة: «لن يكون مريضاً عادياً. ربما سيحاول النهوض قبل أن يشفى تماماً وهذا ما يجعل مهمتنا صعبة، ولذلك يجب أن نتحمل مزاجه الحاد لأسبوعين على الأقل. ها أنا حذرتك سلفاً!».

ابتعدت لارا وهي تفكر بهذا الطبيب الذي تصفه الرئيسة بالصعب! قامت بتنفيذ أوامر الرئيسة، فأعدت الغرفة جيداً من حيث الشراشف والوسائد والأزهار.

عندما اتصلوا هاتفياً للاعلان عن وصوله، كانت الرئيسة ولارا تنتظرانه أمام باب المصعد. رافقتاه حتى غرفته وساعدتاه في الانتقال من العربة الى السرير.

«شكراً» قال ثم أضاف معترضاً: «أنتم لن تأمروني بالبقاء نائماً!».

«سيكون بإمكانك النهوض لساعة واحدة بعد الغداء، دكتور» أجابته الرئيسة بحزم: «الآنسة غروفر ستهتم بك بشكل مميز. أنت بأيدٍ أمينة ولن تتأخر بالشفاء».

تأمل الطبيب لارا جيداً، يبدو أنه لم يتعرف عليها، فاحمر وجه الفتاة أمام نظراته الفاحصة وأدارت وجهها كي تهتم بترتيب ملابسه وأغراضه في الخزانة.

«لا تتردد دكتور بقرع الجرس اذا احتجت لأي شيء» قالت له الرئيسة.

«شكراً، لديك مرضى آخرون، لا تغيّرِ نظام العمل من أجلي، لا أريد أن تخصصوا لي عناية مميزة».

خرجت الرئيسة بينما أخذت لارا ترتب ملابسه في الخزانة، وكانت تشعر بنظرات د. دارتنل مثبتة عليها، ولم تتفاجىء عندما سألها: «هل سبق لي أن رأيتك هنا؟ أم أنك جئت حديثاً الى هذا القسم؟».

«كنت في السابق أعمل في قسم التوليد».

«منذ متى تعملين في هذا المستشفى؟».

«منذ ستة أعوام. هل أنت بحاجة لشيء آخر دكتور؟ يجب أن أشرف على توزيع الغداء».

«حسناً، لدي كل ما أحتاجه، شكراً. ولكن، انتظري لو

سمحت، افتحي النافذة قليلاً».

ما ان أدارت ظهرها، حتى أخذ يتأمل قامتها الممشوقة وساقيها الطويلين. عندما التفتت نحوه ارتبك وأخفض نظره وأراد أن ينقلب الى جانبه فتأوه من الألم.

«هل تتألم؟» سألته بقلق.

هز رأسه. ان كسور أضلاعه لا تزال تؤلمه أثناء الحركة والتنفس. فأغمض عينيه ونام.

خرجت لارا من غرفته كالأم التي تترك طفلها نائماً واتجهت الى الغرفة المجاورة، التي تضم ثمانية أسرّة، ثم دخلت الى غرفة أخرى فيها طبيب ورئيسة الممرضات يهتمان بمريض يعاني من أزمة قلبية.

بعد قليل، طلب منها الطبيب أن تتبعه الى الممر.

«يبدو لي أن هذا المريض متعب جداً، لكن التخطيط سيظهر لنا حقيقة وضعه. انه بحاجة لعناية جيدة».

بقيت لارا بجانبه بعض الوقت ثم ذهبت لرؤية الصبي المصاب بسرطان الدم. ما ان رأته حتى أرعبها شحوبه وجحوظ عينيه من شدة الحرارة.

«كيف حالك ترافور؟» سألته بمرح ظاهر مع أنها كانت تعلم بأن هذا الصبي سيقتله المرض.

«أنا بخير، طالما أنني رأيتك» أجابها بلطف: «كنت أخشى أن لا أراك اليوم».

«كنت مشغولة جداً، كما وأن الدكتور دارتنل نقل الى هذا القسم».

«كيف حاله؟».

«انه مثلك، يكره البقاء في السرير، لكنه أفضل اليوم».

«انه هو الذي كان يعالجني».

«سينقلون لك دماً وستتحسن أنت أيضاً. ألن تأتي والدتك اليوم؟».

«نعم، وستصطحب معها صديقتي» أضاف ممازحاً.

«حسناً، ارتح الآن كي تكون مستعداً لاستقبالها».

عندما مرت أمام المكتب، نادتها الرئيسة.

«هناك حالة سرطان في الدم جديدة في الغرفة الثالثة».

«أوه، لا..!».

«انه شاب في الخامسة عشرة من عمره، ربما يكون مرضه مجرد داء وَحِدات النواة، لن نتأكد الا بعد الفحوصات، سنعزله حالياً.. ولكن كيف حال د. دارتنل؟».

«ليس سيئاً جداً على ما أعتقد، لكن أضلاعه لا تزال تؤلمه، اقتنع بالبقاء نائماً.. أوه، لقد وصل الغداء!».

استغرقت عملية توزيع الغداء ساعة تقريباً اتجهت لارا بعد ذلك الى غرفة د. دارتنل لتعطيه الدواء. لم يكن قد أكل كثيراً ويبدو متعباً.

«أتريد شيئاً آخر، دكتور؟» سألته بعد أن تناول الدواء.

«افتحي هذه الستائر الصفراء، أتساءل من اختار هذا القماش» قال وهو يخفض جفونه المتعبة.

«هل تعاني من اضطراب في النظر؟».

«لا. لقد سبق وطرح عليّ الدكتور غراي نفس السؤال».

اقتربت لارا لترفع الوسائد التي انزلقت تحت رأسه.

«سأرفع صدرك قليلاً» قالت وهي تمسك كتفيه لترفعه كي يرتاح أكثر.

فأحست بدفء جسده تحت يديها وارتبكت.

«شكراً لك. هكذا أفضل، طالما أنه مفروض عليّ البقاء في السرير، فعلى الأقل يجب أن أكون مرتاحاً».

احمر وجهها وهي تضع الجريدة التي سقطت منه على الطاولة.

«حان وقت الزيارات، هل تنتظر أحداً؟».

«لا، طلبت أن لا يأتي أحد لزيارتي» أجابها بحدة.

دهشت لارا من جوابه ولكنها لم تجرؤ على التعليق يبدو أنه لا يحتمل راحته الجبرية ودوره كمريض وهو المعتاد على معالجة الاخرين. ولكن هذا ليس سبباً ليكون فظاً! خرجت من غرفته وهي تفكر بأنها لن تهتم به بشكل مميز. ألا يجب عليها أن تهتم بكل المرضى على السواء؟.

نادتها الرئيسة لتهتم بمريض وصل منذ قليل اثر اصابته بنوبة قلبية. عندما عادت الى مركز الممرضات، لاحظت الضوء الأحمر يشير الى نداء من غرفة د. دارتنل فأسرعت اليه.

«أترغب بشيء، دكتور؟».

لاحظت تردده، ففهمت ما يريد، واقتربت منه وناولته وعاء البول.

«تفضل، اقرع الجرس عندما تنتهي، سأرسل لك

أحدهم».

«شكراً».

لم تعد الى غرفته الا عندما انتهى دوامها.

«أتريد شيئاً، دكتور؟».

«أرجو أن تفتحي الستائر لأنني أحب النظر الى منظر الغروب. أتسكنين بعيداً، آنسة غروفر؟».

اعتقدت الفتاة أنها لاحظت لهجة جديدة في صوته بينما كان يراقبها باهتمام.

«في برامسلي».

«في الجهة الأخرى من الغابة.. الديك سيارة؟».

«نعم، والا لا يمكنني أن أصل الى عملي بالوقت المحدد».

«عند عودتك غداً، ربما ستجدينني واقفاً على قدمي، هذا اذا تمكنت من انتزاع الاذن من زملائي!».

«أتمنى ذلك» قالت له بتهذيب ورقة: «تصبح على خير».

«تصبحين على خير، آنسة غروفر، هذا لطف منك أن تزوريني قبل ذهابك».

غادرت لارا المستشفى وهي تشعر بسعادة غريبة، وطوال الطريق، ظلت صورة وجهه ماثلة أمامها. عادت الى المنزل وقامت بأعمالها المنزلية وهي تتساءل عن سر اهتمامها بهذا الطبيب، فرغم جهودها لطرده من أفكارها، الا أنها كانت قد تعلقت جداً به.

بينما كانت تكوي الملابس، وصل اندريه ودخل

بحماس كبير. لا بد أنه يعلم بأن مارك خرج مع هيلين وأراد أن يستغل فرصة وجودها وحدها لأنه أسرع على الفور نحوها وضمها اليه.

تركته لارا يقبلها دون أن تشعر بأية رغبة بذلك ثم بذلت جهداً كبيراً وأبعدته عنها ودعته للجلوس، لكن هذا الجفاء منها لم يهدأ شوقه فرمى نفسه مجدداً نحوها ليضمها اليه من جديد. لكن لارا لم تعد تطيق صبراً فدفعته عنها بحدة ولمعت عيناها بالغضب.

«اندريه، اياك أن تكرر هذه المحاولة مرة ثانية، أفهمت؟».

بدا اندريه فجأة مهزوماً فرمى نفسه على الكنبة.

«يا لردة فعلك لارا! ألا تعجبك لمساتي؟ أنت اذاً لا تحبينني؟».

«اذا كان هذا ما تطلق عليه حباً.. فالجواب هو لا!».

«لماذا؟؟ أنت تعلمين كم أنا متمسك بك..».

تأثرت لارا بحزنه، فقالت بهدوء: «أنا آسفة لأنني خيبت أملك، كن صبوراً، هذا كل ما أطلبه منك، للحقيقة لست أعرف حقيقة مشاعري. أحياناً أفتقد إليك وأخشى من تدمير علاقتنا. ولكن عندما يحدث مثل هذا المشهد بيننا، فإنني أنزعج كثيراً».

«لارا، أعتقد بأنك لم تنضجي على صعيد الجسم، فأنت لا تزالين نقية وهذا جزء من سحرك. أنت مختلفة جداً عن الأخريات، يا حبيبتي! لطالما كنت أحلم بفتاة مثلك. أنت من أريدها أن تشاركني حياتي».

في منتصف الليل، كانت لارا لا تزال تتقلب في سريرها رغم تعبها خلال النهار وانفعالها أمام اندريه في المساء. ان لمساته تزعجها، لا يمكنها تحملها، وتذكرت كيف قالت له بعد ذلك المشهد بأنها لن تتزوج منه، وكيف انقبض وجهه في الخيبة وكيف توسل اليها كي تفكر بقرارها هذا مرة أخرى.

«لارا، ان حياتي بدونك لا معنى لها، أنت لا تدركين مدى عذابي».

أشفقت عليه وتركته ينتزع منها وعداً بعدم قطع علاقتهما نهائياً.

لكنها الآن، وهي ممددة على فراشها تتساءل عن سبب موقفها منه. أحقاً لا تحب رجلاً آخر؟ تراءت لها صورة د. دارتنل التي لا تكن عن ملاحقتها.

استيقظت في اليوم التالي متعبة، ولكنها في المستشفى لم تجد لحظة واحدة للتفكير بمشاكلها الشخصية لأن عملها أخذ كل وقتها.

بعد ساعة من بدء دوامها، أسرعت نحو غرفة د. دارتنل لتطمئن عليه قبل قيامها بجولتها مع الطبيب المعاين، ولكنها في قرارة نفسها أدركت أنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ وصولها هذا الصباح.

«صباح الخير» قالت بلهجة عادية وهي تنظر الى ورقة الملاحظات: «أنا آسفة لأنني لم آت باكراً. فاليوم هو اجازة الرئيسة وكان لدينا الكثير من الأعمال. هل قضيت ليلة هادئة؟».

ثم تجرأت على رفع نظرها نحوه. كان يستند الى وسائده ويراقبها بنظرة شبه مهنية، ولكن بابتسامة خفيف على شفتيه. ارتعشت وبذلت جهداً كبيراً كي تخفي انفعالها أمام هذا الرجل الذي يجعلها ترتبك كلما رأته.

«لماذا لم تقولي لي شيئاً؟» سألها بصوت هادىء.

«عما تتكلم، دكتور؟».

«عن وجودك في الغابة أثناء الحادث، أنت من أنقذني، فلماذا تخفين الأمر؟ لا أحب أن يعاملني أحد كالطفل ويخفي عني بعض الأمور».

«لكن الوضع لم يكن يسمح بذلك! في البداية، كنت فاقد الوعي، على كل حال، هذا ليس بالأمر الهام، المهم أنك على طريق الشفاء».

«قولي لي، اذا لم أكن مخطئاً، لقد جئت الى غرفتي عندما كنت لا أزال في غرفة العناية الفائقة، اليس كذلك، لارا؟».

احمر وجهها عندما سمعته يلفظ اسمها.

«نعم».

«هذا ما بدا لي، رأيتك تقفين عند العتبة ونور مصباح الممر يشكل هالة حول شعرك، اعتقدت أن الأمر نوع من الهلوسة».

هذه المرة، ضحك وضحكت لارا، لكنه أحس بالألم عندما حاول رفع رأسه عن الوسادة.

«كيف أعبّر لك عن امتناني.. تعلمين أنني..».

«أرجوك، لا تقل شيئاً، لا ضرورة لذلك. ان الصدفة

هي التي وضعتني هناك في نفس الوقت».

«لكنك أيضاً اهتميت بحصاني، لا بد أن هذا الأمر أتعبك كثيراً».

«نعم، لقد أتعبني حتى وصلنا الى البيت، على كل حال، لا تقلق انه بأمان عندنا».

«أنا متأكد من ذلك، وأشكرك. كما ترين، لا أزال أتحرك بصعوبة، ولكن ما ان أغادر السرير، سأدعوك لتناول العشاء في مكان ما، وأرجو أن تقبلي».

«بكل سرور» أجابته بخجل: «شرط أن تذكرني في حينه».

«حسناً، أنا لا أنوي الاقامة طويلاً هنا، أؤكد لك ذلك».

طوال الوقت، كان يكلمها وهو يبتسم دون أن يرفع نظره عن وجهها مما جعل قلبها يدق بسرعة، فرغم سعادتها بجانبه لم تنسى المهام التي تنتظرها في الغرف الأخرى.

«أتعتقدين أنهم سيسمحون لي بالنهوض قليلاً اليوم؟».

«طبيبك هو الذي يقرر ذلك، على كل حال، يبدو لي أنك تحسنت».

«أنا متأكد أنه بإمكاني الوقوف، لو تقرّبي هذا الكرسي من السرير..».

«لا يحق لي القيام بهذا الأمر، قد تقع، وأضلاعك لا تزال رقيقة».

«أنت محقة. أتعلمين بأنني أشعر بالعجز وأنا ألعب دور

المريض. ولكن، الأمر ليس سيئاً لهذه الدرجة، ومع ذلك قرّبي لي هذا الكرسي المتحرك».

أخرج ساقيه من تحت الشراشف وحاول أن يجرب مرونة عضلاته. في هذه اللحظة، فتح الباب ودخل د. الويس الذي كان يشرف على علاجه في العناية الفائقة.

«اذاً بيتر. كيف حال رأسك وأضلاعك؟».

«الأمور تتحسن ببطء، أعتقد أنه سيكون بإمكاني مغادرة المستشفى الأسبوع القادم».

«سنأخذ لك أولاً صورة جديدة للجمجمة من باب الحذر، بعد ذلك، ستكون أنت من يقرر».

«شكراً جون».

«أرى أنهم خصصوا لك أجمل ممرضة في القسم» قال ممازحاً: «يبدو أنها كانت تساعدك على النهوض».

جلس د. دارتنل أولاً على السرير ثم مد ساقيه على الأرض تحيط به لارا والطبيب وساعداه على الوقوف. الجهد الذي بذله جعل وجهه شاحباً وجعله يشعر بالألم.

«هل أنت بخير، بيتر؟» سأله زميله.

«شكراً» وجلس على الكرسي: «أشعر بتحسن الآن».

«لا تبق جالساً طويلاً لأول مرة، سأمر لرؤيتك بعد الغداء، أتركك الآن بين الأيدي الطيبة».

عندما خرج د. الويس، وضعت لارا أمام متناول يديه كل ما يمكنه أن يحتاج اليه وخرجت. كان هناك عمل كثير بانتظارها، قامت به على أكمل وجه ثم ذهبت لتتناول الغداء دون أن تتمكن من ابعاد د. دارتنل عن أفكارها.

كان بيتر قد وعدها بأن يصطحبها للعشاء فور شفائه، فأخذت تتخيل السهرة معه، بإمكانه أن يكون لطيفاً اذا تخلى عن تعجرفه، ولكن هناك شيئاً من الحزن في عينيه، لا بد أنه نفس السبب الغامض الذي دفعه لركوب حصانه بسرعة ذلك اليوم في الغابة. من أي عذاب كان يحاول الهرب؟ هل ستجرؤ على طرح هذا السؤال عليه؟.

مرت فترة بعد الظهر قبل أن تتمكن من زيارة د. بيتر دارتنل مرة ثانية. ولكن عندما دخلت الى غرفته لاحظت أن وجهه أشرق لرؤيتها: «اعتقدت أنك ذهبت».

«لا، أردت أن أطمئن عليك قبل رحيلي. هل أتعبك الجلوس على المقعد؟».

«قليلاً، سنرى اذا كنت سأشعر بتحسن بعد ليلة من النوم».

«غداً يوم اجازتي، لكن ممرضة أخرى ستكون بجانبك».

«أتعتقدين أن هذا الخبر يسعدني؟» سألها متمتماً.

احمر وجهها وحاولت اخفاء ارتباكها.

«سنلتقي بعد غد..» أضاف مبتسماً.

«تصبح على خير، دكتور».

غادرت المستشفى وهي تفكر بما كانت تحمله ابتسامته وكلامه.

عندما وصلت الى المنزل كان مارك يشعل النار في المدفأة.

«لقد أخرجت الحصان اليوم».

«هذا أفضل» أجابته مبتسمة: «هل اتصل اندريه؟».

«لا، أعتقد أنه سيأتي لرؤيتك هذا المساء».

«نعم».

لم يتأخر اندريه بالوصول، لكنها كانت تستمع الى حديثه وتفكر برجل آخر. وندمت لأنها لن تذهب الى المستشفى غداً ولن ترى بيتر.

في اليوم التالي، تبعت شقيقها الى الاسطبل وسألته: «مارك، أتعتقد أنه بإمكاني أن أخرج حصان د. دارتنل بنزهة قصيرة؟».

«قد يصبح متوتراً اذا امتطته امرأة. من الأفضل أن تسألي صاحبه. لا أحد يعلم كيف ستكون ردة فعل الحصان».

«أنت محق، سأكلمه غداً».

عند عودتها من نزهة قصيرة قامت بها، أخبرها مارك بأن اندريه اتصل هاتفياً وانه سيتغيب بضعة أيام ليزور والدته المريضة.

«هذا أفضل» قالت لارا لنفسها، فهذه مهلة للتفكير بقرارها. على الأقل، هي متأكدة أنه لا يمكنها أن تحب اندريه كما يرغب.

عندما عادت الى عملها. لاحظت على الفور اهتمام بيتر دارتنل بها. كانت تدخل الى غرفته وقلبها يدق بسرعة كلما لمحت نظراته وكلما لاحظت سعادته بوجودها. وكانت تجد أي عذر لتعبر عتبة غرفته وتراه قبل عودتها الى المنزل مساء كل يوم. وكان كل يوم يمر يقرّبها أكثر. لم يكن بيتر

يبعد نظراته عنها عندما يكونان وحدهما.

لقد تحسنت حالته وأصبح بإمكان لارا الاهتمام أكثر بمرضاها الأخرين، وقد أصبح بإمكانه أن يقرأ بدون أن يشعر بالصداع.

لم تكلمه لارا عن تردي حالة الصبي ترافور الذي دخل مرحلته الأخيرة الى أن مات بعد ظهر اليوم بينما كانت والدته بجانبه. اضطرت لارا أن تواسي أمه وتصطحبها الى منزلها. وعندما عادت دخلت غرفة بيتر، فوجدته جالساً في سريره وقد حلق ذقنه وسرح شعره. ما ان رآها حتى ابتسم بمكر وطلب منها أن تقترب.

اقتربت لارا، فأمسك يدها بحنان.

«تبدين متعبة، هل كان نهارك شاقاً؟».

«آه، نعم» أجابته متنهدة.

«اسمعي، لقد زارني د. الويس، وقال بأنه بإمكاني العودة الى المنزل بعد يومين أو ثلاثة».

«يسعدني سماع ذلك».

صمت الاثنان أمام فكرة افتراقهما القريب. ظل يمسك يدها والتقت نظراتهما بصمت كامل.

«لا أزال مصمماً على دعوتك للعشاء، لارا».

ككل مرة يلفظ فيها اسمها، ارتعشت الفتاة واحمر وجهها.

هذه اللحظات لهما وحدهما، لا يمكن لأحد أن يربك أحاسيسهما. تأملت عينيه وشفتيه واعترفت لنفسها بأنها تكن لهذا الرجل حباً كبيراً. هل يشاركها حبها؟ ليست

متأكدة تماماً، لكنها تدرك أن هناك احساساً عميقاً يربط بينهما.

كان الهدوء مخيماً حولهما ولا يسمعان سوى دقات قلبيهما. في هذه اللحظة فتح باب الغرفة بشكل مفاجيء ودخل طفلان تتبعهما سيدة مسنة ترتدي ثوباً أنيقاً جداً.

بدا بيتر متفاجئاً في البداية، لكنه سرعان ما ابتسم وأخذ يحاول حماية نفسه من هجمات الطفلين المشتاقين.

«انتبها لأضلاعي!».

«بابا، بابا.. لماذا لم يسمحوا لنا بزيارتك من قبل؟» سألته الفتاة الصغيرة.

التفت بيتر نحو لارا بنظرة ارتباك وقال: «آنسة غروفر، هذه ابنتي جنيفر عمرها سبعة أعوام، وهذا ابني دوريان عمره تسعة أعوام» ثم التفت نحو السيدة التي كانت تحاول الامساك بالولدين بيديها كي لا يؤلمان والدهما: «أمي، أقدم لك ممرضتي. انها تهتم بي جيداً، وأؤكد لك أنني أصبحت بخير».

«لا شك بذلك ، يا عزيزي» أكدت له السيدة دارتنل.

دون أن تدري لماذا، شعرت لارا بأن والدة بيتر لاحظت علاقتهما الحميمة فور دخولها الى الغرفة عندما رأتهما يتبادلان النظرات بصمت.

عجزت عن التفوه بأية كلمة وقد أربكها هذا الموقف، فاستأذنت وانسحبت من الغرفة.

بينما كانت تغلق الباب خلفها، كانت لا تزال تسمع أصوات الولدين واعتراضات الدكتور دارتنل.

«انتظرا، لا تنسيا أنكما أمام جريح، لا أزال متألماً!».

ابتعدت عن الباب وقلبها جريح وقد جفت حنجرتها وعجزت عن النطق، بدلت ملابسها وخرجت وهي تحبس دموعها. لكن عندما جلست خلف مقود سيارتها تركت دموعها تنهار على وجهها. لماذا لم يكلمها بيتر عن زوجته وأولاده؟ كانت تعتقد أنه عازب غير مرتبط، لأنه دعاها للعشاء معه.. اذاً، كانت مخطئة بشأنه! وكانت ساذجة عندما اعتقدت أنه بالامكان أن تكون بينهما علاقة أخرى أكثر من علاقة طبيب بممرضة.

لكنها كانت تشعر خلال الأيام الأخيرة بشيء من الحميمة بينهما وكأن تياراً من الحب يوصل بين قلبيهما كلما التقت نظراتهما أو تلامست أيديهما.

قادت سيارتها وهي تشعر بالخيبة وبالخيانة وعادت الدموع تخنقها من جديد. كيف تجرأ على دعوتها للسهر معه بينما هو متزوج وأب؟ لا بد أنه اعتقد أنها سرت كثيراً بدعوة رئيس القسم الطبي لها للعشاء في الخارج، طالما أنه معتاد على معاملة الجميع ببعض الكبرياء، فلماذا تكون لارا مختلفة؟ ما معنى رقة نظراته نحوها؟ هل كان يمثل دوراً مسرحياً عندما كان يعلن بأنه سعيد بجانبها.

عندما وصلت، نزلت من سيارتها وصفقت الباب وراءها بعنف، هذه الحركة أراحتها قليلاً، ولكنها دخلت الى المنزل بخطوات ثقيلة وقد تبددت كل آمالها وحبها للحياة.

لاحظ أخوها تبدل مزاجها، فسألها عن السبب فأجابته بأنه التعب ودخلت غرفتها على الفور ولم تعرض عليه أن

تساعده في الحسابات. لكنها لم تنم الا بعد أن أرهقها التفكير. هل كان بيتر يتودد اليها بدافع غريزته الذكرية فقط؟ ولكن لا يمكنها تصديق ذلك، كانت تلمح في صوته حناناً كبيراً عندما كان يناديها باسمها. أغمضت عينيها وهي تردد: «بيتر دارتنل، كان يجب عليك أن تقول لي، أن تحذرني..».

عندما استيقظت في اليوم التالي شعرت وكأنها لم تنم أبداً. في المستشفى لم يلاحظ أحد حزنها ويأسها. لكن الرئيسة نادتها وحدثتها عن د. دارتنل.

«يجب أن يمشي اليوم، ساعديه على السير في غرفته. ستلاحظين أن د. الويس خفف له كمية الأدوية. د. دارتنل ينتظر عودته الى منزله بفارغ الصبر. أعتقد أن هذا ممكن بعد يوم أو يومين».

مع هذه الظروف ـ فكرت لارا ـ من الأفضل أن يغادر بأسرع وقت ممكن. ولكن كيف ستدخل غرفته وتعامله بلطف كالسابق طالما أن الحلم تبدد؟ وأخيراً وجدت الحل، فدخلت الى غرفة الممرضين وطلبت من أحد الممرضين أن يساعدها بحجة أنها لا تستطيع وحدها أن تساعد د. دارتنل على السير.

ما ان رأى بيتر دارتنل لارا تدخل مع الممرض، حتى فهم على الفور أن علاقتهما لم تعد نفسها.

«صباح الخير، دكتور» قالت له لارا بصوت خال من أي احساس.

«أليك وأنا سنساعدك على السير، لأنه يجب أن تعود

لنشاطك».

ناولته جاكيت البيجاما بينما قرب الممرض الكرسي المتحرك من سريره، ثم انحنت لتساعده على انتعال الحذاء، لكنه أمسك يديها وقال بحدة: «شكراً لك آنسة غروفر، ولكني لست مشلولاً، على ما أعلم!».

«بالتأكيد، ولكن يجب أن لا تخفض رأسك».

ساعداه في السير قليلاً، لكنه شعر بالتعب فجلس على الكرسي بينما رتبت لارا والممرض سريره وغرفته. لم يكن يبدو عليه أنه يرغب بالكلام، فخرجا بهدوء.

بعد ساعة، عادت لارا وحدها فأعطته الدواء وطرحت عليه أسئلة روتينية أجاب عليها بإيجاز، فانسحبت بسرعة.

لم يسمح لها وقتها بزيارته مرة أخرى لانشغالها ببقية المرضى، على كل حال، د. دارتنل ليس سوى مريضاً كغيره ولا ترغب بالبقاء وحدها معه.

علم بيتر من الدكتور غراي أن الصبي ترافور توفي واعتبر الأمر وكأنه فشل شخصي وتحامل على الجميع لأنهم تأخروا بإعلامه بوفاة الصبي.

«كان يجب عليّ أن أخبره بوفاة الصبي» قال لها د. غراي: «لقد تأثر كثيراً خاصة وأنه كان يعتمد على نظريته الجديدة بمعالجة هذا المرض. انه منهار حالياً، أرجو منك أن تزوريه لترفعي من معنوياته، وبالوقت نفسه تساعدينه على القيام بتمارينه».

هكذا وجدت لارا نفسها مضطرة لدخول غرفته رغم قلقها من الموقف. وجدت د. دارتنل يمسك كتاباً، لكن

وجهه شاحب ومنقبض ويبدو متعجرفاً أكثر من أي وقت آخر. لم يعرها الا نظرة واحدة باردة وجافة وكأنه يتساءل عما جاءت تفعل.

«أترغب بالقيام ببعض التمارين؟» سألته بخجل.

«لا. أتريدين شيئاً آخر، آنسة غروفر؟» وعاد ينظر الى كتابه.

«لا..» وانسحبت من الغرفة وقد أدركت أنه لم يعد هناك مجال لأية حميمة بينهما. لقد عاد كل منهما الى مكانه في سلم الدرجات، فإذا كان رئيس القسم لا يرغب بمكالمتها، فليس عليها البقاء. كان يبدو وكأنه نسي تماماً أنه بالأمس فقط كان متعلقاً جداً بها كما يتعلق الغريق بخشبة النجاة.

تساءلت عن سبب جفائه طويلاً ولكنها لم تجد جواباً، هل يريد معاقبتها بسبب لا مبالاتها أمامه هذا الصباح؟ انقبض قلبها أكثر وهي تتساءل اذا كان قد تجنب اخبارها عن عائلته عن قصد. لا بد أنه كان يريد أن يهيأها شيئاً فشيئاً لتواجه الحقيقة التي يخفيها عنها. لكنه لم يكن يتوقع أن تفاجأها الحقيقة بهذا الشكل.

كانت تحاول أن تجد له الأعذار وترفض الاعتقاد بأنه محتال قاس، لكنها لامت نفسها بشدة لأنها وقعت بحبه، لأنها متأكدة الآن أنها تحبه وذلك منذ المرة الأولى التي ضمته فيها بين ذراعيها في الغابة عندما كان فاقداً وعيه. لماذا تخيلته حراً؟ فقط لأنه دعاها للعشاء ولأنه كان يبدو سعيداً برفقتها؟ يا لها من بلهاء!.

كان اليوم التالي يوم اجازتها، فوعدت نفسها بأن تذهب الى المدينة كي لا تبقى في المنزل وتستسلم لأفكارها السوداء. على كل حال، عيد الميلاد يقترب ويجب عليها أن تشتري بعض الحاجيات.

واندريه؟ لا بد أنه عاد الى المنزل، لكنه لم يتصل بها. كان يجب عليها هي أن تتصل به وتسأل عن صحة والدته.

طلبت رقم هاتفه فأجابها صوت امرأة: «لقد خرج لتوه. هل الأمر طارىء؟ بإمكاني أن أحل مكانه اذا أردت».

«لا، شكراً» أجابتها لارا مبتسمة.

«من يتكلم؟».

«لارا غروفر» وأقفلت السماعة، لا بد أنها مساعدته الجديدة، لم تفكر بهذه المرأة طويلاً، وحصرت تفكيرها بما ستفعله غداً، ستتناول الغداء في أحد المطاعم وستقدم لنفسها معطفاً جديداً وتأخذ موعداً مع مزين الشعر، انها تهمل نفسها كثيراً ويجب أن تتمتع بوقتها من وقت لآخر.

في اليوم التالي، خرجت باكراً بعد أن أخبرت أخاها بأنها لن تعود قبل فترة بعد الظهر. لكنها لم تتحمل ضجيج المدينة وعادت الى المنزل ظهراً وأدركت في طريق العودة أنه لا يمكنها نسيان د. دارتنل أبداً لأنه الحب الأول الحقيقي في حياتها.

عادت الى عملها في اليوم التالي واهتمت بمرضاها كالعادة وحاولت أن لا تفكر ببيتر وقالت لنفسها أنها ستزوره لاحقاً. لكن دهشتها كانت كبيرة عندما علمت من رئيسة الممرضات أنه غادر المستشفى بالأمس.

«ولكن كيف؟» سألتها لارا بدهشة: «هل سمح له د. الويس بالعودة؟».

«نعم، شرط أن يكون حذراً ويمنح نفسه الراحة المطلوبة. فهو يعرف حالته وما يحتاجه من عناية. وهكذا فالغرفة رقم ٣٠ أصبحت خالية، لكنها لن تبقى كذلك طويلاً على ما أعتقد لأن لدينا مريضين جاءا ليلاً..».

تنهدت لارا وهي تستمع لها، يبدو أن العمل كثير هذا النهار، فالمريضان اللذان خضعا لعمليتين ليلاً بحاجة لعناية كبيرة. فيما بعد، وجدت لارا نفسها تدخل الغرفة رقم ٣٠ دون أن تفهم السبب. فوجدتها خالية وباردة، حبست دموعها وهي تتخيله كيف كان يحدثها بلطف. كم تفتقده! عندما كان يكلمها كانت تشعر بأنه يكن لها عاطفة قوية، لا يمكن أن تكون مخطئة لهذه الدرجة. ولكن كل هذا انتهى ولم يبق الا الندم. فهي لن تره قريباً لأنه لن يعود الى عمله قبل عيد الميلاد بالتأكيد.

في المساء، لدى عودتها الى المنزل، لمحت سيارة اندريه في الخارج رحبت به بلطافة وسألته عن صحة أمه.

«حالتها ليست جيدة، لست أدري ماذا يمكنني أن أفعل لها».

«أفهم اندريه، يكفي أن تشعر والدتك بأنك مهتم بها».

«نعم، ولكن اذا أصبحت عاجزة، سأضطر لبيع المنزل كي أدفع لها نفقات دار العناية بالمسنين».

«لا تقلق مسبقاً، الآن هي تتلقى العناية اللازمة في المستشفى، يجب أن تنتظر كي تعرف كيف ستتطور

حالتها»

«لست أدري ماذا كنت سأفعل بدونك، لارا» قال وهو يحيط كتفيها بذراعه: «أشعر بالراحة عندما أراك. أتمنى أن توافقي على الزواج مني بأسرع وقت. ألا تعتقدين أننا نفسد سعادتنا بطول الانتظار؟».

«لست أدري، اندريه، وأفضل الانتظار حالياً».

«سأنتظرك ولن أستسلم، أنا بحاجة لك».

تركته يقبلها، ولشدة انفعاله لم يلاحظ عدم تأثرها بقبلاته. لكنه في الأيام التالية لم يزرها كثيراً.

عندما حاولت لارا امتطاء الحصان الأصيل اعترض شقيقها بشدة.

«لا، لارا، هذا الحصان ليس لنا. أعتقد أن د. دارتنل لن يتأخر في استعادته، أتعرفين متى يصبح بإمكانه امتطاء حصانه؟».

«لست أدري» أجابته ببساطة.

كان مارك يعرف شقيقته جيداً فأدرك أن هناك شيئاً لا يسير على ما يرام، لكنه لم يلح.

في المستشفى، كانت كل الأسرة مشغولة وقد اعتادت لارا على عملها الجديد ولم تحاول أن تعرف ماذا سيحصل عند عودة د. دارتنل الى عمله، عندما ستراه كل يوم وتضطر لتنفيذ أوامره. بالتأكيد يمكنها طلب نقلها الى قسم آخر، لكنها لن تفعل، انها تحب عملها هذا.

كانت علمت من الموظفين أن د. دارتنل أصبح بصحة جيدة. ومن خلال ضربات قلبها المتسارعة، أدركت أنها

لم تنجح في نسيانه رغم جهودها الكبيرة. حاولت أن تتعقل بالتفكير بأنه تصرف نحوها كما يتصرف كل الرجال المريضون أمام الممرضة التي تعالجهم. فإقامتهم في المستشفى تجعل أحاسيسهم رقيقة، لكن ما أن يغادروا المستشفى حتى يعودوا الى حياتهم العادية وينسوا تلك المغامرة العابرة.

كان الطقس بارداً والهواء عاصفاً اليوم فأسرعت لارا تخرج من سيارتها لتلجأ الى دفء ممرات المستشفى. لكنها توقفت مذهولة، لقد رأت د. دارتنل يتحدث مع زميله د. غراي أمام مكتب الرئيسة. كان يرتدي بدلة أنيقة ويحمل ملفاً بيده.

لم تكن لارا قد رأته من قبل بملابس عادية، لكن ملامحه كانت لا تزال متعجرفة. لم تتمكن من التهرب من لقائه لأن نظراتهما التقت بسرعة.

«صباح الخير» قال بيتر وهو يتأملها مبتسماً.

«ها أنت، دكتور دارتنل» قالت بارتباك: «لم أكن أعلم أنك ستبدأ عملك اليوم».

«جئت هذا الصباح من أجل الاجتماع، آنسة غروفر، لأننا سنبدأ بالاعداد لمهرجان عيد الميلاد».

اذاً هو عضو في جمعية الأعياد في المؤسسة! وهي أيضاً.. أحست بفرح كبير لأنها ستلقاه غالباً، فابتعدت بخفة لتبدأ نهارها العملي. لكنها وجدت صعوبة في التركيز على مهامها العادية ولم تستطع منع نفسها من التفكير ببيتر.

اقترب موعد الاجتماع فذكرتها به الآنسة «شيريل»: «بإمكانك الذهاب، لارا، سأحل مكانك لحين عودتك».

«حسناً، سأذهب. ولكن أتعلمين أن الدكتور دارتنل عاد هذا الصباح؟».

«أنا سعيدة لأنه نجا من ذلك الحادث. صحيح أنه فظ أحياناً، لكنه في الحقيقة فاتن».

حملت لارا دفتر ملاحظاتها واتجهت نحو الطابق السفلي لتنضم الى أعضاء الجمعية الأخرين. كانت شاردة، فسمعت خطوات وراءها جعلتها تنتفض.

«آنسة غروفر» نادها صوت د. دارتنل.

وكانت قد وصلت الى ممر خال.

«نعم، دكتور».

«لا أزال مصراً على دعوتك للعشاء.. هل أنت موافقة؟».

ارتبكت لارا كثيراً، ودق قلبها بسرعة فنظرت اليه وكانت تتمنى أن توافق!.

«أنت تعرف جيداً أن هذا مستحيل» أجابته بصوت يخنقه الانفعال: «أشكرك، ولكني مضطرة للرفض».

«ولكن لماذا غيرت رأيك؟» سألها بدهشة: «ألا ترغبين بالخروج معي، أم أنك لست حرة».

«أنت تعرف جوابي جيداً، دكتور» أجابته بحزن: «ولكن هذه مشيئة القدر. من الأفضل أن تنسى هذا الأمر».

«حسناً، كما تشائين» قال بحدة ودخلا قاعة الاجتماع معاً.

كان هناك عدة زملاء قد سبقوهما فاستقبلوا د. دارتنل بالترحيب وسألوه عن صحته.

«أنا بخير، شكراً لكم» اكتفى بهذه الاجابة وجلس بينما جلست لارا بجانب سوزان.

بينما تناقش الجميع حول الأفكار الخاصة بتزيين الغرف، بقيت لارا مرتبكة بوجود بيتر، وعدة مرات لاحظت أنه ينظر خلسة. قبل أن ينتهي الاجتماع، اقترح أن يصطحب معه ولديه. عندئذ جفت حنجرتها وأخفضت نظرها متسائلة عن السبب الذي يدفعه لاصطحاب ولديه يوم عيد الميلاد، بإمكانه أن يصطحبهما الى مكان آخر.

بالنسبة لها الأمر مختلف، فماذا بإمكانها أن تفعل غير ذلك؟ ان شقيقها سيخرج مع خطيبته وهي لا ترغب بالبقاء وحدها في المنزل.

عادت لارا الى عملها حتى حان موعد الغداء فنزلت الى الكافيتيريا بصحبة زميلتها سو، ودون أن تدري كيف، دار الحديث بينهما عن د. دارتنل. شعرت لارا أن زميلتها تراقبها بحيرة عندما رأتها قد شحب لونها.

«وأخيراً عاد، لا يزال فاتناً..».

«أحقاً ترينه مميزاً؟» سألتها لارا متلعثمة.

«بالتأكيد، وأنت؟ لقد رأيته كيف كان ينظر اليك خلال الاجتماع. برأيي، أنت تثيرين اهتمامه».

«أرجوك، سو، كفاك غباءً!».

«ولكن.. احمر وجهك!».

«لأن جو الكافيتيريا دافىء».

لم تلح سوزان أكثر، فأنهت لارا غداءها وعادت الى قسمها. لمحت د. دارتنل يخرج من غرفة الأطباء ويسير في الممر رافع الرأس، مستقيم الكتفين. ان مجرد رؤيته تربك الفتاة. عندما اقترب من المصعد، التفت فرآها. لكنه دخل المصعد حتى دون أن يلقي عليها التحية.

هزت لارا رأسها بأسف. هذا الرجل الذي كان قد طلب منها مرافقته لتناول العشاء خارجاً، يتصرف الآن وكأنه لا يعرفها.. لحسن الحظ، رفضت دعوته.

عندما عادت وجدت رئيسة الممرضات تلقي رأسها على طاولتها وتبدو متعبة.

«أعتقد أنني التقطت جرثومة، أشعر بالتعب والدوار».

«يجب أن يراك الطبيب» قالت لها لارا.

«سيأتي د. دارتنل بعد قليل سيفحص السيد بانكز، سأطلب منه أن يراني، يجب عليّ أن أرافقه في جولته لكنني متعبة، أيمكنك مرافقته أنت؟».

«بالتأكيد، لا تقلقي».

بعد قليل جاء د. دارتنل.

«هل ترافقيني الى غرفة السيد بانكز، آنسة غروفر؟» سألها بتهذيب.

«نعم، من هنا، تفضل دكتور» أجابته دون أن تجرؤ على النظر الى وجهه.

لكن الطبيب لم يعرها أية نظرة اهتمام وركز كل اهتمامه على هذا المريض الذي كان د. غراي قد فحصه دون أن يتمكن من تحديد نوع مرضه.

«حسناً، سيد بانكز» بدأ بيتر بالكلام بطيبة: «أتذكر أول مرة أحسست فيها بهذه الآلام؟».

«الألم بدأ منذ مدة طويلة، لكنه يزداد يوماً بعد يوم».

«هل الألم مستمر، أتشعر بالألم الآن؟».

«عندما تضغط هنا، أشعر بالألم».

في هذه اللحظة انضم اليهما د. غراي. فطلب بيتر من لارا أن تناوله الملف. ناولته اياه وقد نسيت كل اهتماماتها الشخصية لتركز على حالة المريض.

«مع هذا الدواء الجديد، كل شيء سيسير على ما يرام، سيد بانكز» قال له بيتر بعد أن نظر الى نتائج فحوصاته: «قريباً ستسير على قدميك. الى اللقاء».

ثم نظر الى زميله وطلب منه مرافقته لرؤية مريض آخر.

«لم نعد بحاجة اليك، آنسة غروفر» قال لها وهو يبتعد: «لن نؤخرك عن عملك».

تبعته لارا بنظرها وقد أدهشتها لهجته الجافة، لكن ما أدهشها أكثر هي تلك الكآبة العميقة التي لمحتها في نظراته عندما التفت مجدداً نحوها، فأخفضت نظرها وتشاغلت بترتيب وسادة المريض.

في المساء، ما ان جاءت ممرضات الليل، حتى أسرعت لارا تبدل ملابسها، كان متعبة كثيراً، خاصة وأنها قامت اليوم بمهامها وبمهام رئيسة الممرضات في آن واحد. عندما جلست خلف مقود سيارتها، وجدت نفسها تفكر من جديد بمشاكلها الشخصية. للحقيقة، كانت تعتبر نفسها مذنبة لأنها تحب رجلاً متزوجاً وأباً لطفلين ولا يمكنها

نسيانه! وعادت بعض الذكريات لتزيد من ارتباكها. تذكرت أول يوم ساعدته فيه على السير، كانت قد وضعت ذراعها تحت ذراعه وأحست بحرارة جسده القريب جداً من جسدها.. أهكذا يشعر المحبوب؟.

في اليوم التالي، أحست أكثر بغياب الرئيسة وحلت محلها في مساعدة الممرضات والأطباء حتى حل المساء. وبينما كانت تستعد للرحيل اتصلت بها صديقتها سو وطلبت منها أن توصلها في طريقها.

«بكل سرور» أجابتها لارا بمحبة.

سلكت لارا الطريق الأقرب الذي يحاذي الساحل، وهي تستمع لثرثرة صديقتها حول طبيعة عملها. فجأة، انتفضت سو وسألتها: «أين أصبحت مع د. دارتنل؟ ألا تلاحظين أنه عاد الى عمله باكراً؟».

«انه يعرف جيداً ماذا يفعل».

«ما رأيك به؟ كطبيب، أقصد..».

«وماذا سيكون بالنسبة لي غير ذلك؟ أحياناً يكون صعباً، فهو متقلب المزاج و..».

«نعم، وأنا أيضاً لاحظت ذلك. ولكن الأسوأ هو ارتكاب خطأ ما مع مرضاه، هل رأيت ولديه؟ انهما جميلان..».

«رافقتهما والدته ذات يوم الى المستشفى» أجابتها لارا بحذر.. ولكن زوجته لم تأت. أتعرفينها؟».

«ولكن.. ألا تعلمين؟» سألتها بدهشة.

«ماذا؟».

«لقد توفيت زوجته أثناء حادث تزلج في النمسا منذ أربعة أعوام. لكنه لا يتكلم عنها كثيراً وكثيرون يجهلون الأمر».

«أوه، يا الهي! الأمر محزن حقاً!» صرخت لارا وتقلصت يداها على المقود.

أحست لارا بالشفقة على هذا الرجل ولامت نفسها على موقفها منه. آه، لو كانت تعلم! لا بد أنه لم يكن يشك أبداً بأنها تجهل مأساته، ولا بد أيضاً أنه يعتبرها قاسية عليه!.

قطع أفكارها صوت سو.

«لارا! يبدو أنك شاردة، لقد وصلت، شكراً لك».

«آه، اعذريني» وتوقفت لتنزل صديقتها ثم تابعت سيرها وهي تفكر بكل تصرفاتها وبرودها وصمتها أمام بيتر، انها لم ترحم وضعه عندما زرعت الجفاء بينهما. وهكذا، فهو حر غير مرتبط ويحق له أن يدعوها للخروج معه اذا رغب، ولقد دعاها بكل لطف، وقبلت دعوته في البداية لترفض فيما بعد. ما رأيه بها الآن؟.

على كل حال، فات الأوان والنوم يملأ قلبها. ربما يعتقدها مرتبطة أو حمقاء.

أية مأساة سببتها له زوجته بوفاتها. انها على كل حال أم ولديه، كيف واجه الموقف وكيف تحمل التجربة؟ انهمرت الدموع من عينيها وكادت تتخطى المنعطف المؤدي الى منزلها.

لم يبق لها الا عزاء واحد يجعلها تنسى همومها. انه

عملها، سترى بيتر كل يوم، وقد تتمكن الأيام من ازالة سوء التفاهم واعادة المياه الى مجاريها بينهما. لكنها حتى ذلك اليوم، ستبقى تحب بصمت هذا الرجل الحزين الذي لا تفارق صورته خيالها، ولن تدعه يلاحظ مدى حبها له. سيبقى رئيس القسم المتفاني بعمله وستبقى هي الممرضة التي تنفذ أوامره بدقة.

توالت الأيام وهو يبدي لا مبالاة تجاهها كلما التقى بها أمام أسرة المرضى. كان يكتفي بالقاء تحية الصباح عليها بكل تهذيب ليبدأ على الفور بتوجيه ملاحظاته المهنية. كان العمل مرهقاً خاصة بغياب رئيسة الممرضات، لدرجة أن د. دارتنل أصبح متوتراً وسريع الغضب.

هذا الصباح وبعد أن فحص مريضة مصابة بالضغط التفت نحو لارا وقال لها بلطف: «الآن، أريد رؤية حالة المريضة التي تعاني من ابيضاض الدم في الغرفة الثانية. أعطني ملفها، لو سمحت».

ناولته لارا الملف.

«حسناً» تنهد بعد أن القى نظرة على الملف: «يبدو لي أنه يجب أن نجري لها فحوصات جديدة. هل لديك أخبار عن الآنسة شيريل؟».

«لقد تحسنت حالتها، وأعتقد أنها ستعود للعمل يوم الاثنين».

«هذا خبر جيد بالنسبة لك، أنت تتعبين كثيراً أثناء غيابها».

اكتفى بهذا القول ثم حياها وابتعد. تبعته لارا بعينيها

محاولة أن تهدأ ضربات قلبها المتسارعة. أوه، لو أنها تتمكن من مكالمته وشرح موقفها السابق.. ولكن، ألم تلمح في نظراته شيئاً من الرقة عندما تركها؟.

بعد ظهر اليوم التالي، اتجهت الى غرفة المكتب لتأخذ لائحة الأدوية التي يجب أن تخرجها من الصيدلية. فجأة، انتفضت عندما سمعت صوتاً خلفها. التفتت فرأت د. بيتر دارتنل يضع على الباب لائحة عدم الازعاج، ويغلق الباب وراءه. ارتبكت كثيراً ونظرت اليه بدهشة.

«ستقولين عني بأنني عنيد» قال مبتسماً: «ولكنني أكرر دعوتي لك على العشاء. أنت تعرفين أنني أدين لك وأرغب بالتعبير عن امتناني».

«يا الهي! لست تدين لي بشيء، دكتور! لقد صادف وجودي في مكان الحادث، وأي شخص آخر، كان سيتصرف بنفس الطريقة!».

«نعم، لكنك لست أي شخص، لارا. هل تقبلين دعوتي؟».

«نعم..» تمتمت بصوت مرتجف: «هذا يسعدني كثيراً».

«حقاً؟؟» سألها وكأنه لا يصدق: «اذاً أنت غيّرت رأيك تجاهي؟ ماذا جرى؟».

لم تجبه واكتفت بابتسامة خجولة. فأمسك يدها بحنان، لكن خوفاً من أن يراها أحد من خلال الباب الزجاجي، تركها.

«اذاً الى اللقاء مساء غد السبت؟».

«نعم».

«سأمر لاصطحابك في الساعة السابعة والنصف».

«منزلي ليس بعيداً..».

«أعرفه. لقد ذهبت الى منزلك بالأمس لأستعيد حصاني، ألم تعرفي؟».

«لا، لكني سمعت مارك يتكلم مع اندريه على الهاتف، واعتقدت أن اندريه هو من أوصل حصانك..».

«لا، قررت أن آتي بنفسي لاستعادته، كما وانني كنت أرغب برؤية شقيقك، طلبت منه أن يبحث لي عن مهر صغير لأولادي وأن يعلمهما ركوب الخيل».

لا بد أن مارك نسي اخبارها بالأمر لشدة انشغاله هذه الأيام.

«اندريه هو البيطري، اليس كذلك؟ لقد التقيت به في منزلكم واعتقدت أنه خطيبك.. لكثرة ما تحدث عنك..».

«لست مخطوبة» أجابته لارا بهدوء.

رفع نظره نحوها وابتسم: «اذاً الى الغد».

في المساء، وبينما كانت تعد العشاء، عاد شقيقها مارك فتفاجأت به يسير بدون العصا.

«نسيت أن أخبرك بالأمس أن د. دارتنل جاء بشاحنته الصغيرة وأخذ حصانه».

«علمت ذلك اليوم. يبدو أن اندريه كان هنا!».

«نعم، وسيأتي لرؤيتك مساء غد».

«حقاً؟ كان يجب أن يتصل أولاً، لن أكون هنا مساء

غد».

«الى أين ستذهبين؟».

«الدكتور دارتنل دعاني للعشاء في المدينة».

«ألا تعلمين بأنه متزوج؟» سألها بدهشة: «لقد طلب مني أن أختار مهراً لولديه».

«أعلم ذلك، لكن زوجته توفيت في حادث تزلج منذ أربعة أعوام».

«ستخرجين معه اذاً، واندريه؟».

«أنا لست مرتبطة مع اندريه. بإمكاني الخروج مع من أشاء. لقد سبق وأخبرته بأنني حرة، وأتمنى أن تعلم ذلك أنت أيضاً».

«ومم يشكو اندريه؟».

«انه لا يشكو شيء، لكنني لا أرغب بالزواج منه. كما وأنني عاتبة عليه لأنه جعل د. دارتنل يعتقد بأنني خطيبته».

«اندريه يحبك وهو عنيد، لن يستسلم بسهولة».

«لقد سبق وتناقشنا أنا وهو بهذا الموضوع، ولكن يجب أن يعترف بالواقع» قالت بحزم ثم رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم اندريه.

«أنا لست حرة غداً مساءً، اندريه» قالت له بعد أن قال بأنه سيزورها مساء غد: «سأخرج مع د. دارتنل. أنت تعرفه، التقيت به هنا بالأمس».

ساد صمت غير قصير ثم جاء صوت اندريه بعيداً مرتجفاً.

«حسناً، كما تشائين..».

أقفلت السماعة وتجنبت النظر الى أخيها ثم دخلت غرفتها لتعد الملابس التي سترتديها غداً.

في الوقت المحدد في مساء اليوم التالي، وصل د. دارتنل وانتظرها في سيارته في الخارج. كانت لارا قد اختارت ثوباً أسود طويلاً واعتنت كثيراً بنفسها. ما ان جلست بجانبه في السيارة حتى لاحظت مدى فرحته بلقائها.

«رائحة عطرك جميلة جداً، انها متناسبة جداً مع شخصيتك».

«يسعدني أنها أعجبتك» أجابته مبتسمة.

قاد بيتر سيارته وطرح عليها أسئلة عن عائلتها.

«والداي متوفيان، أقيم مع شقيقي الذي سيتزوج قريباً. أحب حياة الريف والتجول في الغابة.. أنظر، لقد وصلنا الى المكان حيث حصل لك الحادث».

أمسك يدها بحنان وقال: «كنت أقود حصاني بسرعة جنونية ولم أر الغصن الذي تسبب بالحادث».

لم يضف شيئاً آخر عن الحادث، فسألته الى أين يصطحبها.

«الى كلوز دي سريزيه، أنا متأكد أنه سيعجبك، كان الفندق عبارة عن مزرعة لكن أعيد ترميمها».

«سمعت عن هذا المكان».

«تسريحة شعرك جميلة جداً اليوم» تمتم وهو ينعطف بسيارته.

ابتسمت في الظلام، لأنها اليوم كانت قد تركت شعرها مسترسلاً على كتفيها ولا تحبه تحت قبعة التمريض.

عندما أوقف سيارته، أطفأ المحرك لكنه لم يحاول النزول. انتظرت لارا وهي ترتعش. التفت اليها وأمسك وجهها بين يديه وقربه من وجهه. ببطء، انحنى نحوها وقبّلها.

«لارا» تمتم عندما أبعد رأسه عنها: «لا يمكنك أبداً أن تعرفي كم كنت أنتظر هذه اللحظة. ولكني كنت أتساءل.. أنا آسف اذا كنت قد..».

«لا تضف شيئاً آخر» قاطعته مرتعشة: «أنا أيضاً، كنت انتظر هذه اللحظة».

ضمها الى صدره للحظات، ثم نزل وأحاط كتفيها بذراعه ودخلا المطعم الذي تنيره أنوار خفيفة تنعكس على الديكور النحاسي والأثاث الخشبي.

«وكأننا نزور بعض الأصدقاء» قالت لارا وهي تتأمل الديكور.

تركا معطفيهما مع موظف الاستقبال واختارا طاولة بعيدة مزينة بالأواني الفضية والكريستال وبزهرية تضم أزهاراً حمراء.

فهمت لارا أنه اختار المكان الرومنسي من أجلها. تأملها بيتر باعجاب شديد كأنه يراها للمرة الأولى. احمر وجهها ولمعت عيناها لأنها كانت واثقة من جمالها ومن أناقتها.

قبل أن يطلب الطعام، سألها ماذا تفضل وكان لطيفاً

جداً، لقد تبدد سوء التفاهم الذي كان قد حل بينهما وترك مكانه علاقة حميمة رقيقة.

خلال حديثهما، ترددت لارا كثيراً في مناداته باسمه ولم تجرؤ على رفع الرسميات نهائياً.

«نادني بيتر، أرجوك. اسمي ليس جميلاً كاسمك، ولكني أحب سماعه منك، أرجوك، انسي لقبي.. أتساءل اذا كنت أنت أيضاً تنتظرين هذه اللحظة بفارغ الصبر مثلي..».

«نعم.. أعتقد ذلك» أجابته متلعثمة. وقد تمكنت من تحمل نظراته دون أن تخفض نظرها.

تكلما طويلاً بفرح وعذوبة. لم تكن تشك أبداً بأن بيتر الطبيب الجدي بإمكانه أن يكون لطيفاً كما هو الآن.

«لطالما كنت أحلم بأن أصبح طبيباً ذات يوم. لقد كنت الابن الوحيد لأهلي. كان والدي ضابطاً في الشرطة».

«هل انتقلت الى منطقتنا بعد زواجك؟».

«لا. اشترينا منزلاً في غلوسستر. بعد.. وفاة زوجتي، بحثت عن مربية لولدي. فوالدتي قليلاً ما تقيم معنا. ترددت طويلاً كي لا ترتبك حياة طفلي، ولكن لم يكن بإمكاني البقاء بجانبهما طويلاً..».

«أفهم بيتر» أجابته بهدوء.

«أتمنى أن لا أكون قد أزعجتك بكل هذه القصص».

«أوه لا! بل على العكس».

«من حسن حظي أنني وجدت عملاً في مستشفى واليسبوري وتمكنت من الاقامة في منزل قريب. لقد تركنا

المربية لتتزوج، فجاءت والدتي لتقيم معنا. لديها شقة مستقلة والولدان لا يرهقانها طالما أنهما يذهبان الى المدرسة، وتهتم بهما الخادمة جانيت بعد عودتهما. الآن، أنت تعرفين كل شيء عني».

«نعم.. الآن أعرف عنك كل شيء».

نهضا ليخرجا، فأمسك ذراعها حتى وصلا الى السيارة. في مثل هذه الساعة يكون السير خفيفاً، فتركا الصمت يسود بينهما بسلام وهما مستسلمان لهذا الاحساس الجميل الذي يقربهما.

عندما أوقف سيارته أمام منزلها أشارت له بأن النور مضاء في غرفة الجلوس.

«يبدو أن مارك لم ينم بعد، أترغب بالدخول؟».

تفاجأت بالابتسامة الماكرة على وجهه وهو يطفىء المحرك.

«لا، وأنت؟».

لكنه لم ينتظر جوابها، وأسرع يضمها اليه ويقبلها.

تحفظت في البداية، ثم استسلمت للمشاعر التي اجتاحتها. سرت حرارة لذيذة في جسدها المرتعش تحت لمساته، فرفعت يديها وأحاطت عنقه لتبادله قبلاته الحارة. صحيح أن اندريه كان قد قبلها كثيراً في السابق، لكنها أبداً لم تشعر بمثل ما تشعر به اليوم، فهي الآن ترغب بالمزيد من العناق وأن لا تتشارك هذه اللذة مع أي رجل آخر غير بيتر.

«هذا لم يكن متعمداً..» قال بصوت مرتجف وهو ينظر

في عينيها.

لم تقل شيئاً، لكنه كان يعلم بأنها ليست آسفة لما يحصل.

«لارا.. يبدو لي أنني أحبك» قال متردداً.

لم تجرؤ على التصديق، واعتقدت أنها تحلم.

«لكن هذا ليس سبباً للاندفاع.. لارا.. أتمنى أن لا تكوني غاضبة مني».

رفعت أصابعها على شفتيه ورمت نفسها على صدره.

«لا تضف كلمة أخرى بيتر، أرجوك، لا تفسد ما حصل. كان كل شيء رائعاً هذا المساء. ربما تعتبرني ساذجة اذا اعترفت لك أنني لم أعش تجربة مماثلة من قبل، ولكني كنت سعيدة بكل ما حصل وبكل ما قلته لي هذا المساء!».

«لارا، حبيبتي، أنت رائعة، أي رجل يمكنه مقاومتك؟ صحيح أنني كنت أخشى الوقوع بالحب مرة أخرى، لكن ما ان رأيتك حتى أيقظت في نفسي هذه المشاعر التي كنت أعتقدها ماتت منذ سنوات. كلما نظرت اليك ورأيت ابتسامتك الخجولة أشعر بأنني عاجز عن الابتعاد عنك، أشعر معك بأنني عدت مراهقاً يقع بالحب للمرة الأولى».

«أنا أيضاً بيتر، أحَب لأول مرة في حياتي حباً حقيقياً».

«اذاً، ستخرجين معي مرة أخرى؟ سنلتقي خارج المستشفى بالتأكيد. أتعتقدين أنني أسرّع الأمور وانني متطلب، قولي لي اذا كنت..».

جعلته يسكت بقبلة خفيفة على شفتيه.

«بيتر، سيكون لدينا الكثير من الوقت لنتعارف أكثر. لقد أسعدتني كثيراً هذا المساء، وأخشى على هذه السعادة أن تتبدد».

«لارا، أتؤمنين بالمعجزات؟ أنعيش الآن معجزة؟».

«أنا متأكدة من ذلك.. والآن يجب أن أدخل. لا بد أن مارك سمع هدير سيارتك ولا بد أنه قلق الآن، فهو يعتبر نفسه المسؤول عني، أنت تفهم.. شكراً لك على هذه السهرة، بيتر».

«لارا، أنا من يجب أن يشكرك، تصبحين على خير».

ظلت تنظر باتجاه سيارته الى أن ابتعد، عندما دخلت المنزل كان مارك مستلقياً على الكنبة.

«لماذا لم تنم في غرفتك؟» سألته وقد أزعجتها نظراته.

«فضلت أن أنتظرك، هل قضيت سهرة جيدة؟».

«انها أجمل سهرة قضيتها في حياتي كلها..».

«اذاً، الأمر جدي بينكما».

«نعم».

«وستخرجين معه مرة ثانية؟ اليس كبيراً بالنسبة لعمرك؟».

«لم أفكر في مسألة العمر. المهم أنني أشعر بالسعادة بجانبه، ولكن لماذا لا يعجبك هذا الأمر، ألا تستلطفه؟».

«ليس لدي شيء ضده، لكن مركزه مهم في المستشفى، وهو رجل ثري أيضاً، وخبير بأمور النساء، لا أريدك أن تنخدعي بالأوهام فقط لأنه دعاك مرة للعشاء».

فضلت لارا أن لا تجيب وصعدت الى غرفتها. بدلت

ملابسها واستسلمت للسعادة التي تملأ كيانها. لقد تمكن بيتر من احياء مشاعر داخلها لم تكن تعرفها من قبل، وتشعر بأنه يرغب بها وهذا ما يجعلها ترتجف من السعادة. ان هذا ما كانت تفتقده مع اندريه.

مع ذلك، كانت تخشى أن تكون علاقتها ببيتر، كأية علاقة تنشأ بين طبيب واحدى الممرضات، فهي غالباً تنتهي بدون أي مستقبل. لكنها هذا المساء أحست بأن بيتر يشاركها كل مشاعرها العميقة. وبما أنه خبير أكثر منها بهذا المجال، فلا بد أنه لاحظ أنها مستعدة للاستسلام له.

قررت أن تقطع علاقتها نهائياً مع اندريه. فإذا جاء لزيارتها غداً، ستكلمه بالأمر ولكن دون أن تسبب له الألم.

من ناحية أخرى، كان يجب عليها أن تبذل جهداً كبيراً في المستشفى لتحافظ على موقفها المهني مع بيتر كطبيب. يجب أن تتجنب الشائعات، وسيكون بإمكانهما خارج الوسط المهني أن يكونا حرين بتصرفاتهما.

في صباح اليوم التالي، الاحد، كانت بجانب شقيقها الذي يستقبل زبائن في متحفه الصغير، عندما جاء اندريه.

«اذاً، لارا هل كانت سهرة الأمس لطيفة؟».

«نعم، شكراً لك اندريه».

«وهل ستتكرر هذه السهرة؟» سألها بحدة.

«لست أدري» أجابته وهي تقطب حاجبيها.

«هيا اذاً! لا تعتقدي بأنني أصدقك!».

«ولكن..» ثم قطعت كلامها عندما اقترب مارك منهما.

«أتريد فنجاناً من القهوة؟».

«لا، ليس لدي الوقت لذلك».

تركته يقف مع مارك ثم دخلت الى التخشيبة المجاورة. لكن اندريه تبعها وأسرع يرمي نفسه فوقها ودفعها الى زاوية مظلمة خلف الباب الخشبي. أحست بأنفاسه الحارة، كانت قد عجزت عن الحركة وهو يحبسها بثقلة أمام الحائط، وكلما حاولت دفعه عنها كلما رمى بثقله عليها أكثر.

انهمرت دموعها وتمنت لو يأتي شقيقها ليخلصها من قبضة اندريه. لكن لم يكن صوت مارك الذي سمعته أخيراً، لكنه صوت طفلة صرخت بدهشة: «أوه، أنظر أبي، اليست هذه ممرضتك؟».

عندئذ تركها اندريه ولكن بعد فوات الأوان لأن بيتر كان يقف على العتبة مذهولاً. لقد رأى كل شيء كما يبدو من ملامحه المليئة بالاحتقار.

أراد اندريه أن يستغل الموقف الى آخره فالتفت نحو بيتر وقال: «مرحباً، د. دارتنل! بالتأكيد أنت تعرف خطيبتي، من حسن حظك أنها كانت في الغابة ساعة وقوع الحادث لك».

ودون أن ينتظر الجواب، خرج وترك لارا منهارة، فأسرعت تهرب والدموع على وجهها كي لا تتحمل أكثر نظرة الاحتقار في عيني بيتر.

لكن ندمت لتسرعها. كان يجب أن تبقى وأن تجبر اندريه على الاعتذار وعلى تبرير الموقف، أوه، لا بد أن

بيتر صدقه، طالما أنه رأى المشهد بعينه. كل الدلائل ضدها ولن ينفعها التبرير.

انها متأكدة أن اندريه رأى بيتر وولديه وافتعل هذا المشهد بدافع الغيرة ليوهم بيتر بأنها خطيبته. يبدو أنها لم تكن تدرك كم يحبها وكم يشعر بالغيرة من بيتر.. لكن لسوء الحظ حصل ما حصل وبوجود بيتر في تلك اللحظة، ومعه ولداه!.

من نافذة غرفتها، رأت بيتر يتحدث مع مارك، ولاحظت أن سيارة اندريه اختفت. انقبض قلبها أمام فكرة أن كل شيء انتهى بينها وبين بيتر قبل أن يبدأ. لن يسامحها أبداً خاصة بعد السهرة التي قضياها بالأمس.

ظلت وحدها غارقة في يأسها وذرفت دموعاً لم يسبق لها أن ذرفت على قدرها من قبل. عند الظهر، نزلت لتحضر الغداء على أمل أن لا يلاحظ مارك شيئاً. لكنها عندما رأته فهمت أنها لم تستطيع اخفاء حزنها.

«ما بك لارا؟».

«لا شيء».

«هل أنت مريضة؟ لاحظت أن اندريه خرج بسرعة.. وكذلك د. دارتنل».

«حقاً لاحظت؟» سألته بسخرية.

«هل تخاصمت مع اندريه؟».

«تقريباً. لكني لا أرغب بالكلام الآن».

كانت تعلم أن شقيقها صديق لاندريه ويحبه كثيراً، ولهذا من المستحيل أن تخبره بما جرى في التخشيبة!.

بعد قليل، جاءت هيلين، فانسحبت لارا الى غرفتها وهي تفكر بالغد. كانت تتوقع موقف بيتر منها. سيبقى مهذباً معها لكن بجفاف. من الآن وصاعداً لن يصدق براءتها وسيحتقرها في قرارة نفسه. لا بد أنه يشعر بخيبة كبيرة خاصة بعد سهرتهما معاً بالأمس.

يا لسوء حظي! فكّرت وهي تنزل الى غرفة الجلوس. لقد خرج مارك مع هيلين، ولن تخشى نظراتهما.

بينما كانت تضع حطباً في المدفأة، سمعت هدير سيارة في الخارج، وبعد لحظات سمعت طرقات على الباب مع صوت يناديها. انه اندريه! لكن عندما لم تجب، اقترب من النافذة وناداها مجدداً.

«دعيني أدخل، لارا يجب أن أكلمك».

«اذهب على الفور، أريد أن أنام».

«أرجوك، لارا».

«كي تدخل وتكرر ذلك المشهد الذي حصل في الصباح؟ لا».

«أوه لا! أؤكد لك العكس، جئت لأقدم لك اعتذاري».

«ارحل، لا أريد رؤيتك».

«لا أريد أن أؤذيك لارا. لا أنوي ذلك. ولكني أرغب بتوضيح الأمور، افتحي الباب، أرجوك».

بعد الحاحه، فتحت الباب، لكنها ظلت بعيدة عنه. نظر اليها بعمق ثم هز رأسه بيأس.

«اسمعي لارا، أنا اسف حقاً! لست أدري ماذا أصابني..».

«أما أنا فأعرف. لا يمكنك أن تدرك مدى الأذى الذي سببته لي. لقد دمرت أحلامي بالسعادة».

«اذاً أنت تحبينه؟».

«نعم، هذا احساس لم أشعر به تجاهك أبداً. ولم أكن مرتبطة بك. اذاً أنا لم أسيء اليك. لكنك تصرفت بشكل آلمني هذا الصباح».

«لقد تصرفت باندفاع كي أثبت له.. أوه! أرجوك، لا تحقدي عليّ، هل تسامحينني يوماً؟ ألا يمكننا على الأقل أن نبقى أصدقاء؟».

«سأحاول أن أنسى تصرفك هذا، ولكن افهم، اندريه أنا مضطرة لرؤية د. دارتنل كل يوم في المستشفى، فأنا أعمل معه، ولقد سبق وأكدت له أنني غير مرتبطة بأحد، اذاً أنت تتخيل ردة فعله.. لقد جرحت كرامته. أتساءل عما يظنه الآن، ذلك المشهد في التخشيبة..».

«اذاً أنت تحبينه حقاً».

«نعم».

عندئذ خرج اندريه وصفق الباب وراءه بحدة. أقفلت لارا الباب وأطفأت الأنوار وصعدت الى غرفتها، لكنها لم تدر اذا كانت تشعر بالحزن أم بالراحة.

في صباح اليوم التالي، التقت لارا بالآنسة شيريل في الممر، فهنأتها على السلامة وأخبرتها عن سير العمل أثناء غيابها ثم بدأت بمهامها اليومية وتأخرت عند سرير امرأة أجريت لها عملية مساء أمس، فناولتها الدواء وطمأنتها قليلاً.

كانت تنتظر وصول بيتر الذي لن يتأخر بالوصول، وقلبها يدق بسرعة، لكن يجب أن تهتم بكل هؤلاء المرضى المتألمين وأن تراقب بانتباه الممرضات الجديدات والمتمرنين، وهذا ما جعلها تنسى قليلاً همومها الشخصية، الا أنها عجزت عن اخفاء اضطرابها ولاحظ البعض اختفاء ابتسامتها.

نادتها امرأة مريضة وكانت تتألم.

«أين تشعرين بالألم؟» سألتها وقد لاحظت شحوب وجهها.

لكن قبل أن تجيبها المريضة، سمعت لارا وقع خطوات خلفها، انها تعرف هذه الخطوات. انه هو..

كان د. دارتنل ينظر حوله بانزعاج، لا بد أنه يبحث عن رئيسة القسم. تقدمت لارا منه.

«صباح الخير، د. دارتنل، أعتقد أن الرئيسة في الادارة، لقد عادت الى العمل صباح اليوم، أيمكنني مساعدتك؟».

«نعم، أريد ملفات مرضاي».

لم تلق لارا الا نظرة سريعة على هذا الوجه الذي تحبه كثيراً. لكن بيتر ظل متجهماً. فرفعت كتفيها وأسرعت الى المكتب.

ولكن ما ان وقفت أمام الملفات حتى أدركت أنها لا تعرف أي ملف تحمل اليه. غضبت من نفسها وتساءلت كيف يمكنه أن يربكها لهذه الدرجة: «هيا» قالت لنفسها: «احملي له هذه الملفات» لم يسبق لها أن ارتبكت من قبل

بالنسبة لواجباتها المهنية، ولن تبدأ بتلقي الملاحظات اليوم.

عندما حملت له الملفات، كان بيتر يتحدث مع طبيب متمرن ولم يكلف نفسه بعناء شكرها وحتى أنه لم يلتفت نحوها.

لم تكن لارا تعلم أن الصدمة ستكون عنيفة لهذه الدرجة بالنسبة لبيتر، ولسببين. أولهما أنه كان يعتقد بأن لارا خدعته عندما أكدت له أنها ليست مخطوبة، ثم أنه يلومها بمرارة لأنها ملكت قلبه بسرعة بعد أن تجاهل كل عواطفه منذ وفاة زوجته السابقة. وها هو يقع من جديد بحب فتاة كاذبة، كان على وشك أن يطلبها للزواج..

نعم، يعتقد أن الأمر واضح، وانه كان ساذجاً عندما أحبها. لقد تبددت كل أماله التي رسمها مؤخراً.

صباح اليوم، ليس من السهل عليه أن يتعرف على هذه الممرضة، فهي لم تعد موجودة بنظره، ومع ذلك، يجب عليه أن يواجهها وأن يلمح في عينيها نظرات الحزن. كيف ينسى ارتعاشها وهي بين ذراعيه، كيف ينسى نظراتها المليئة، بالحب؟ للأسف، لقد سبقه البيطري ويملك حقوقاً عليها.

هذه الفكرة البغيضة هي التي ساعدته للحفاظ على مسافة بينه وبينها. وكان كلما التقى بها من أجل عملهما. لا يظهر لها أي استلطاف ومودة، لدرجة أنه بات أكثر اهتماماً بمرضاه، لا يهتم بجهوده ولا بوقته، مكرساً كل نفسه لمرضى ابيضاض الدم وأبحاثه بهذا الشأن، لعله

يحقق فوزاً جديداً على الموت وتقدماً في مجال العلم الحديث.

بقي أسبوعان يفصلهم عن عيد الميلاد، فاستغلت لارا يوم اجازتها لتذهب الى المدينة القريبة وتشتري هداياها. دخلت الى متجر كبير يعرض في واجهاته أجمل البضائع والشبيهة بتلك التي تباع في أضخم محلات لندن. توقفت في زاوية العطور واختارت زجاجة عطر لهيلين خطيبة شقيقها. انه عطر باريس سيعجب هيلين حتماً لأنها صاحبة ذوق رفيع، ولهذا ضحت بثمنها مع أنه لا يتناسب مع راتب ممرضة عادية.

بينما كانت تفكر وغارقة في حساباتها، جعلها صوت سمعته خلفها تنتفض وترتبك. كان رجل يدير لها ظهره ويقف في الزاوية المجاورة، لكنها عرفته من صوته مسبقاً. أحست بنفسها يشحب لونها ليصبح أحمر فيما بعد.

كان يبدو غارقاً في اختياراته والبائعة تحاول ارضاء ذوقه. نسيت لارا كل شيء وأخذت تراقبه دون أن تتمكن من منع نفسها من الابتسام. وأخيراً، حدد خياره ودفع ثمن ما اشتراه ووضعه في الكيس الذي كان شبه ممتلىء.

أدارت رأسها كي لا يراها، لكنها لمحته في المرآة وهو يتجه نحو السلم الدائري ليصعد الى الطابق العلوي.

هذا اللقاء المفاجيء أربكها، فاحتاجت لبعض الوقت كي تعيد ترتيب أفكارها وتقرأ لائحة مشترياتها، كانت قد لاحظت نظرات الاعجاب في عيني البائعة وهي تهتم بطلبات بيتر. انه رجل فاتن وهي تدرك ذلك، فبالاضافة

لمركزه يهتم كثيراً بأناقته.. على كل حال، مركزه وثروته لا يتناسبان مع وضعها الاجتماعي، ومع ذلك، شعرت خلال سهرتهما معاً بأن بيتر لا يعلق أية أهمية على هذا الفارق الاجتماعي بينهما.

قررت أن تقدم لنفسها فنجاناً من القهوة في الطابق الأخير من هذا المركز التجاري حيث يوجد المطعم. وكي تتمتع بدقائق من الراحة، خلعت معطفها ووضعته مع الأغراض على الكرسي بجانبها.

ما ان جلست حتى رأته يقترب ويجلس حول الطاولة المجاورة. بعد لحظات قليلة رآها والتقت نظراتهما.

طلبت قهوتها بصوت مرتجف وطلبت قطعة كاتو لم تلمسها أبداً. أما بيتر فشرب قهوته بسرعة ونهض. مر أمامها وحياها بإشارة صغيرة من رأسه وتابع سيره. ردت له التحية بمثلها وقلبها يعصر من الحزن محاولة حبس الدموع التي تخنقها. لكنها فجأة، هزت رأسها: على كل حال، من يعتبر نفسه؟ يجب أن تنساه. هذه الفكرة شجعتها، فعادت الى المنزل حيث وجدت شقيقها في الاسطبل يجهز المهر الذي اشتراه بيتر مؤخراً.

«لقد طلب د. دارتنل مني أن أحتفظ له بهذا المهر حتى عيد الميلاد ليقدمه لولديه كمفاجأة العيد» أخبرها مارك.

وهكذا اذاً جاء بيتر أثناء غيابها! شعرت بالوقت نفسه بالخيبة والانفعال معاً. لو كان جاء متعمداً أثناء غيابها كي لا يراها، فهذا يدل على أنه لا يزال يحبها ويخشى ان رآها أن يستسلم لعواطفه.

على كل حال، في المستشفى لا يمكنه تجنبها، وربما ستسنح لهما الفرصة للتصالح في عيد الميلاد. من الصعب جداً عليها تحمل نظراته البعيدة وقناع الاحتقار الذي يواجهها به دائماً!.

في اليوم التالي، انتظرت بفارغ الصبر موعد جولته مع الطبيب المتمرن. كانت قد أعدت الملفات بعناية على أمل أن يتم كل شيء بدون حادث يذكر. فبيتر لم يكن يدرك أن مجرد رؤيته تربكها لدرجة أن ترتكب الأخطاء. كان بحاجة لكل مساعدة فاعلة من الجميع ومضطراً لمعاملتها بلطف كما يعامل الجميع.

عادت اليها ذكريات المودة بينهما لكنها تعلم الآن أنه من المستحيل أن تعود الى الحميمة التي كانت تجمعها من قبل. هل يفكر بها كما تفكر به طوال الوقت؟ هل سيعلم بأنها لم تخدعه؟.

كان عيد الميلاد يقترب والحيوية تملأ الصالات وغرف المرضى. بينما بعض الممرضات ينتظرن بفارغ الصبر اجازاتهن.

وأخيراً جاء اليوم الذي ستزين به الزينة الجدران والسقوف. خلال اجتماعات جمعية الأعياد، لم يكن بيتر دارتنل قادراً على منع نفسه من النظر الى لارا. لكنه كان يكلمها بنفس اللهجة التي يكلم بها الأخرين، وكان يتساءل كيف يمكن لهذه النظرات البريئة أن تخفي خلفها شخصية امرأة مخادعة، ألم تتصرف معه بخفة عندما استسلمت لقبلاته وعناقه؟.

عشية عيد الميلاد مرت الممرضات على غرف المرضى وهن يرتلن أغاني العيد ويتمنين لهم الشفاء العاجل. كانت هذه اللحظات مثيرة دائماً وتدفع للبكاء.

لحسن الحظ، لم يكن هناك حالات طارئة كثيراً هذه الفترة ولم تحدث أية حالة مأساوية تعكر جو المستشفى. حتى أن المرضى نسوا الآمهم عندما تلقوا الزيارات والهدايا ومرت الساعات بالأحاديث الشيقة وكان الجميع يرفضون التفكير بالغد.

تناول بعض المرضى الكثير من الحلوى لدرجة أن امرأة أصابها القيء فأسرعت لارا لتبدل لها غطاء الوسادة. اتجهت الى غرفة الغسيل لتأخذ غطاءً نظيفاً، فالتقت بالدكتور بيتر دارتنل في الممر، فابتسم لها ابتسامة غريبة لم تفهم معناها.

تابعت سيرها ولكن عندما أرادت أن تسحب غطاء الوسادة من بين الشراشف انهارت عليها الشراشف كلها. وقبل أن تتمكن من النهوض، امتدت يدان ورفعتاها ثم أحست بشفتين تطبعان قبلة على عنقها.

«من هذا؟» تساءلت مذعورة.

«بابا نويل» تمتم بيتر وهو يجبرها على الالتفات اليه.

«بيتر..».

رفع ذقنها بيده وقبّلها بدون أية مقاومة منها. كانت ترتعش من الفرح لمجرد أنها بين ذراعيه. ثم وقفت على رؤوس أصابع قدميها لتضع ذراعها حول عنقه وتضمه اليها.

عندما تركها أخيراً، نظرت اليه طويلاً: وأخيراً سيتكلم، سيسمح لها بأن تشرح له كل شيء وبأن تدافع عن نفسها.

سيقول لها بأنه كان يفهم وكان يعرف الحقيقة وان كل شيء سيعود الى سابق عهده بينهما.

لكنه ظل صامتاً وبدأت تقلق. ضمها من جديد وبدون أية اشارة لذلك السوء التفاهم وقبلها بحرارة.

بينما كانت تنتظر منه كلمات الحب ومشاريع المستقبل، نظر اليها أخيراً بسخرية: «حسناً، انه عيد الميلاد اليوم، اليس كذلك؟ أنا متأكد أن اندريه لن يغضب، كما وأعتقد بأنك لن تخبريه. على كل حال، هذه لن تكون أول مرة تخفين فيها عنه بعض الأمور..».

ثم أدار لها ظهره وابتعد وتركها والدموع تحرق عينيها. خبأت وجهها بغطاء الوسادة. كيف تجرأ على معاملتها هكذا؟ بعد أن قال لها ذات يوم بأنه يحبها؟.

مسحت دموعها عندما سمعت خطوات في الخارج. انها احدى الممرضات. ناولتها غطاء الوسادة وطلبت منها أن تهتم بسرير المرأة.

صدق كلام اندريه ويعتقد أنها خطيبته. حسناً، ليعتقد بما يشاء! لن تحاول تبرير نفسها ولن تخبره بأنها لم تر اندريه منذ ذلك اليوم المشؤوم، كما وأنها كانت قد علمت من شقيقها أن اندريه يواسي نفسه مع مساعدته الجديدة.

لكن موقف بيتر منها يدل على مدى احتقاره لها. كان يعلم بأنها لن ترفض قبلاته وانها ستستجيب بكل حماس. بالاضافة لذلك اختار كلمات جارحة رماها بها بدون

رحمة. على كل حال، لن تنسى عيد الميلاد هذا أبداً! صحيح أنه لم يحمل لها أي فرح، لكن يجب أن تتصرف وكأن شيئاً لم يحدث ويجب أن تخفي عمن حولها كل الهموم التي تثقل قلبها.

عادت الى عملها محاولة جهدها أن ترسم ابتسامة على وجهها بينما كان الجميع يحاولون أن يجعلوا من هذا اليوم يوماً مميزاً.

حان وقت الغداء وكان بيتر يتجول في المستشفى متنكراً بزي بابا نويل بينما بقية الأطباء والمتمرنين أخذوا على عاتقهم توزيع الطعام للمرضى وللممرضات والجميع يضحكون بمرح. فلماذا لا تمرح هي أيضاً. على كل حال، بيتر ليس محور وجودها، ولقد حان الوقت كي تعطيه مكانه المناسب: أي أن يبقى الرئيس فقط وأن تنحصر علاقتهما بالأمور المهنية لا أكثر.

مع ذلك، كان يبدو بأنه لا يريد ابعادها عن جو المرح الذي نظمه لبعد ظهر هذا اليوم. فكان يناديها باستمرار لمساعدته ولتوزيع الهدايا لدرجة أنه طلب منها أن تساعد ولديه بارتداء ملابسهما التنكرية.

«انهما يعرفان دوريهما جيداً» قال لها شارحاً: «ولكنهما بحاجة للمساعدة لارتداء بدلتيهما. هل يمكنك مساعدتهما؟».

«بكل سرور» أجابته بلهجة طبيعية: «أين هما؟».

«في الممر».

«حسناً، سأهتم بهما.. أنت تبدو مناسباً جداً لدور بابا

نويل، لكني لطالما كنت أعتقد أن عينيه زرقاوان. عدا ذلك، لا يمكن التفريق بين الشخصيتين».

هل ابتسم؟ لم يكن بإمكانها رؤية فمه لكنه نظر اليها وتركها ليدخل الصالة الكبيرة التي أعدت للممثلين.

«كيف حال الصغار؟» سألتهما لارا متظاهرة بالمرح: «عيد ميلاد مجيد. أعتقد أننا سنتسلى جيداً هذا اليوم!».

«يجب أن أتنكر» قالت لها الطفلة جنيفر دارتنل بخجل: «ولكني لا..».

«نادني لارا اذا أردت. هيا بنا لنسرع، لقد حان الوقت».

واصطحبت الولدين الى مكتب الرئيسة وساعدتهما على تبديل ملابسهما.

بعد قليل، خرجا مرتدين ملابس التنكر. جنيفر بملابس ليلى ذات القبعة الحمراء ودوريان بملابس الذئب مع قناع وأذنين طويلتين.

كانت الطفلة تحمل سلتها ويتبعها الذئب على يديه وقدميه ويعوي خلفها. تبادلا بعض العبارات دون أن يخطئا وبكثير من الجدية قبل أن ينسحبا وسط تصفيق الجميع. بسرعة، عادا ليظهرا متنكرين بزي الطبيب والمريض. هذه المرة، تبدلت اللهجة وكانت الاجابات مضحكة.

كان بيتر يبدو فخوراً بولديه وشاركته لارا هذا الشعور. فالولدان كانا بسيطين ومرحين.

ظل بيتر ولارا في القسم بعد الحفلة الصغيرة وتناولا العشاء وكأن سوء التفاهم زال من بينهما فجأة.

كان الجميع سعيدين بهذا الحفل وأبدوا اعجابهم بقدرة د. دارتنل على تمثيل الأدوار.

كان بيتر دارتنل يستعد للرحيل مع ولديه بينما كانت لارا تخرج من الممر، فأسرع الولدان ليسلما عليها.

«اذاً، تسليتما جيداً، اليس كذلك؟» سألتهما مبتسمة دون أن تجرؤ على النظر الى والدهما.

أكد لها الولدان أنهما كانا سعيدين جداً، بينما سألها د. دارتنل بكل لطف اذا كانت ستعود الى المنزل.

«لا، دكتور، لدي عمل هذا المساء، غداً يوم اجازة لي».

«أنت تستحقين الاجازة حقاً» قال لها بلطف ثم أمسك يدي ولديه: «هيا بنا، لا بد أن جدتكما تنتظر».

ابتعدوا بينما ظلت تنظر اليهم بمحبة. كانت قد نشأت بينها وبين الطفلين علاقة استلطاف ملحوظة. دوريان يشبه والده كثيراً بينما كانت جينفر نحيفة وشعرها بني وعيناها زرقاوان. ربما ورثت هذا اللون من أمها؟.

لا بد أن عيد الميلاد يحي ذكريات حزينة في قلب بيتر دارتنل والمنزل يبدو له حزيناً وخالياً بدون المرأة التي كان يحبها. ولا شك أن هذا هو السبب الذي يدفعه لقضاء وقت أطول من المطلوب في المستشفى.

في المساء، استقلت لارا سيارتها وعادت الى المنزل متعبة جداً لا تفكر الا بالنوم. في الخارج كان الطقس بارداً جداً، وفي الغد سيقام سباق موسمي في الغابة سيشارك فيه أهالي المنطقة، انه الحدث الأهم في فصل الشتاء.

اصطحب مارك خطيبته هيلين في الجيب الى مكان اللقاء حيث سيبدأ سباق الفرسان، بينما اختارت لارا حصاناً هادئاً تمتطيه.

«سنلتقي هناك» صرخ شقيقها وهو ينطلق بسيارته: «هذه السنة سيبدأ الصغار بالسباق ومن ثم الكبار».

كانت لارا ترتدي ملابس الفروسية وتمتطي حصانها بكل اطمئنان. عندما وصلت الى ساحة اللقاء، كان هناك الكثيرون قد سبقوها وهي تعرف معظمهم. ربطت حصانها بجزع شجرة وذهبت للبحث عن أخيها فوجدته مع خطيبته يتحدث مع فارس ما ان رأته حتى أخذ قلبها يدق بسرعة. كان بيتر مع ولديه ومعهم امرأة ترتدي بدلة رياضية أنيقة جداً. انه يرتدي بدلة الفروسية وقد وضع القبعة على رأسه، هل سيشارك في السباق؟.

ما ان رآها حتى اتجه نحوها بخطواته الواثقة.

«صباح الخير، أتشتركين في السباق؟».

«نعم، كعادتي كل عام، فأنا من سكان المنطقة كما تعلم».

«وأنا ساكن جديد. ولكن هذه المرة، كوني مطمئنة، لن أقع عن فرسي، أتشكين بقدراتي؟».

«أبداً. لكن الطريق مزروع بالمخاطر، لست أدري وجهتنا، سيخبرونا في الدقيقة الأخيرة».

«لا تقلقي، سأبذل جهدي» قال دون أن يرفع نظره عنها، فارتبكت أمام نظراته الجريئة.

«أعذرني، يجب أن أرى أخي» وابتعدت وهي تلوم

نفسها لارتباكها كلما رأته أو سمعت صوته رغم احتقاره لها.

على كل حال، هنا الوضع يختلف عنه في المستشفى على الأقل، بالفروسية يمكنها أن تثبت له مدى جدارتها.

عندما حان وقت امتطاء الأحصنة، أعلنوا لهم عن وجهة السباق التي تقع على مسافة عشرة كيلومترات أمام السنديانة العتيقة التي يصعب ايجادها على من لا يعرفون المنطقة جيداً.

عند الاشارة، ضجت الغابة بأصوات وقع حوافر الخيول وبهدير محركات السيارات خلفها وسرعان ما وجدت نفسها في المقدمة ثم انعطفت لتسلك طريقاً مختصراً في الجانب الآخر من البلدة.

كانت تنطلق مسرعة وحصانها يتخطى كل الحواجز ببراعة وقطع الأرض البور دون توقف. فجأة، وجدت نفسها في الطرف الآخر من الطريق فنظرت حولها فلم تجد أي واحد من المتبارين. اذاً، قد تفوز وتربح الرهان.

«هيا» قالت لحصانها بحماس: «قليل من الجهد أيضاً ونصل..».

أسرع الحصان منطلقاً، ولكن فجأة، وقع ما لم يكن في الحسبان. لقد تعثر الحصان في حفرة صغيرة ووقع وأوقع لارا التي غرق وجهها في الأعشاب الرطبة وانثنت ساقاها تحتها. لكن لارا والحصان نهضا بسرعة ولكن ليس بدون أضرار. فساق لارا تؤلمها بينما حصانها يعرج.

انحنت لارا لتفحص حوافر الحصان عندما سمعت وقع

حوافر جعلتها تنتفض. كان يجب أن تشك بأن بيتر لحقها.

«هل أنت مصابة؟» سألها بقلق وهو يقترب.

«أنا لا، ولكن موريس يعرج».

«دعيني أراه».

انحنى وفحص الحصان بينما كانت تشرح له الوضع.

«ولكن لم يكن يجب عليك أن تتوقف» صرخت لارا فجأة: «ستضيع كل فرصة لك بالفوز..».

«لحسن الحظ أنت بخير، كان بالامكان أن تصابي..» قال دون أن يهتم بتشجيعاتها.

«كما ترى، أنا بخير، بإمكانك أن تتابع السباق».

أمسك كتفيها بقوة وقال بحدة: «أتعتقدين حقاً أن الفوز هو الذي يهمني؟ انك انت التي كنت تسعين لتثبتي لي تفوقك. كان يجب عليك أن تلاحظي أن هذا الطريق مليء بالحفر. لكنك استخفيت بالمخاطر».

«نعم، أنت محق» أجابته وأخفضت نظرها: «أعرف أنني كنت أريد أن أثبت لك تفوقي..».

«وها قد لاقيت جزاءك. لم يبق أمامك الا أن تركبي خلفي..».

«ولكني لا أريد أن يراني الآخرون أركب خلفك».

«الديك وسيلة أخرى للعودة؟ هيا، اركبي خلفي» وقفز على حصانه وساعدها في الجلوس خلفه.

«ضعي يديك حول خصري» أمرها بحدة: «من حسن حظك أنك لم تصابي بأية اصابة خطرة. على كل حال، لست أول من يقع عن حصانه».

أحاطت خصره بيديها سعيدة بوجودها قريباً منه، لكن حدة كلامه كانت تزعجها.

عندما وصلا الى السنديانة القديمة كان الجميع قد وصلوا ورحلوا ولم يعد أمامهما سوى العودة الى منزل لارا من الطريق الفرعي.

كان مارك ينتظر بقلق، فاطمأن عندما رأى شقيقته وتفحص الحصان.

«حالته بسيطة. شكراً لك، دكتور، لست أدري كيف كانت لارا ستتصرف بدونك. لقد كلفتني والدتك وشقيقتك أن أخبرك بأنهما عادتا مع الولدين الى المنزل».

«شكراً، أتمنى أن لا تكونا قلقتا كثيراً عليّ» ثم سلّم عليهما بانحناءة من رأسه وابتعد على صهوة حصانه.

كان بيتر دارتنل متمسك جداً بالفصل بين حياته الخاصة وحياته المهنية. ففي نظر زملائه، كان رجلاً متحفظاً حازماً. أما بالنسبة للارا، فلقد كان يحافظ على مسافة معها رغم الانجذاب الكبير الذي يشعر به تجاهها. كان معجباً جداً بكفاءتها المهنية ومعاملتها الجيدة للمرضى والاحترام الذي تحظى به في المستشفى، لم يغفر لنفسه حبه لها. ومع ذلك أيضاً كان يبحث عن أنظاره ما ان تصل الى القسم. وعندما تكون في اجازة يشعر بأن اليوم طويل والمستشفى كله خالياً. كيف وصل الى هذا الحد؟ عندما يفكر باندريه لا يدري كيف يمكن لها أن تحب رجلاً مثله، ماذا يربطهما غير الخيول والمعرفة القديمة؟ ان مجرد التفكير بها بين ذراعي اندريه يجعله يثور

غضباً. لارا! الفتاة البريئة التي كان يضمها بين ذراعيه والتي قضى معها أجمل سهرة في حياته.. لارا.. المرأة الأولى التي قبلها بعد وفاة زوجته..

كان يعتقدها مختلفة عن الأخريات، براءتها، رقتها، تفاهمها موقفها جعله يشعر بالأمان والسلام.. عندما علمت بأن لديه ولدين لم تكن تعلم بأنه أرمل، وأظهرت قلقاً! اذاً كيف يفسر موقفها الحالي؟ ويفكر بدهشة كيف أنها قبلت قبلاته يوم عيد الميلاد.. للحقيقة لم يعد يدري أين أصبحت علاقتهما.

هذا الصباح، عندما وصل الى المستشفى كان الطقس يبشر بحلول الربيع، فلقد انقضى الشتاء ببطء وغم. دخل الى مبنى المستشفى يحمل حقيبته وسرعان ما انهمك بعمله متنقلاً بين مرضاه لدرجة أنه اصطدم بممرضة في الممر، رفع رأسه فتعرف عليها، لكنه لم يتمكن من اخفاء سروره برؤياها وهي أيضاً لاحظت ذلك.

كان متجهاً الى قسم العيادات الخارجية ولم يتوقع رؤيتها في هذا القسم.

«ها أنت في غير قسمك!» قال بدهشة.

«نعم، أرسلت الرئيسة بطلبي ولست أدري ماذا تريد».

«لا أعتقد أن الأمر خطير» قال لها مطمئناً: «حظاً موفقاً».

كم تتمنى أن يأخذها بين ذراعيه ليهدأها ويمنحها الشجاعة لمقابلة الرئيسة! لقد قرأ القلق في عينيها البريئتين، ولاحظ أنفاسها المتسارعة وفمها المرتجف..

وشفتيها الرقيقتين التي لامستهما شفتاه في الماضي..

على كل حال، لماذا يفكر بها؟ من الأفضل أن يفكر بالعيادة التي تمتلىء بالمرضى. كان بيتر والدكتور غراي يتناوبان في الكشف على المرضى، فأحدهما يهتم بالمرضى القدامى، والآخر بالحديثين. لكن يحدث أحياناً أن يوحدا جهودهما أمام بعض الحالات الصعبة.

ما ان أدخلت الممرضة أول مريض الى مكتبه حتى نسي لارا وحبه لها وحصر تفكيره بمعالجة المريض. ان المرضى بحاجة له ولخبرته، وهو أيضاً بحاجة لهم لينسى همومه الشخصية.

خلال هذا الوقت كانت لارا تطرق باب غرفة رئيسة المستشفى.

«أدخل».

دخلت لارا والقلق باد على وجهها. فلم تضيع الرئيسة وقتها بالمقدمات ولم يكن من عادتها الثرثرة.

«آنسة غروفر، ان رئيستك المباشرة ستتركنا لأنها ستستلم عملها الجديد في مستشفى مالفرن، وهذا ما يترك منصبها خالياً. وأنا لا أرى من هو جدير بهذا المنصب غيرك. لقد سبق لك وأثبت جدارة ملحوظة ما رأيك؟» سألتها وهي تنظر اليها بإعجاب.

عجزت لارا عن الرد لأنها كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة.

«أتفضلين التفكير بالأمر بهدوء؟» سألتها بلطف.

«أوه لا، آنسة هلستون، أقبل على الفور».

«أتشعرين بأنك قادرة على شغل هذا المنصب».

«نعم، اذا كان هذا رأيك أيضاً».

«حسناً، اتفقنا. ستستلمين أمر تعيينك رسمياً في نهاية الشهر، أثناء رحيل الآنسة شيريل. هذا يترك لك وقتاً للتأقلم مع مهامك الجديدة. سأجد لك ممرضة خبيرة لتساعدك. أنا متأكدة أنكما ستشكلان فريقاً جيداً في ذلك القسم».

«شكراً لك» تمتمت متلعثمة وعاجزة عن النطق بكلمة اضافية.

عادت لارا الى قسمها رافعة الرأس والكتفين. كانت تدرك أهمية هذه الترقية وكبر مسؤولياتها. ولكن ألم يسبق لها أن حلت مكان الرئيسة أثناء مرضها؟ يجب أن لا تشعر بالعجز! أي فرحة ستزفها اليوم لمارك! ولبيتر دارتنل! بيتر سيضطر للتعامل معها بشكل أكبر. كيف ستكون ردة فعله عندما يعلم بأمر هذه الترقية وبما تتطلبه من تعاون بينهما على الصعيد المهني؟.

عندما أخبرت رئيستها بالأمر، ابتسمت لها بسرور ومرح.

«كنت أعلم بذلك منذ بعض الوقت. على كل حال، أنا من اقترح اسمك لأنني متأكدة من أنك ستنجحين في مهامك الجديدة، فالمرضى يحبونك وكذلك الأطباء! في البداية سننظر معاً الى هذه الملاحظات التي أعددتها كي تساعدك. من حسن حظك أنك ستديرين قسماً تعرفينه مسبقاً. هذا أسهل من العمل في قسم جديد. الآن، هيا بنا

لنرى ما ينتظرنا اليوم».

ظلتا لبعض الوقت تهتمان بالأمور التنظيمية. عندما خرجت لارا من المكتب كرست نفسها لمهامها اليومية بكل تفان مع أنها كان تود لو يمكنها أن تصرخ وتعلن على الملأ عن هذا التغيير.

في المساء، حدثت شقيقها بالأمر لكنه لم يبد حماساً كما كانت تنتظر.

«يبدو أنهم يعرفون قيمتك العملية، والدكتور دارتنل، ألا تزالين ترينه؟».

«نعم، تقريباً كل يوم».

«يبدو أن سهراتك الرومنسية انتهت ما ان بدأت! ماذا جرى بينكما؟».

«لا شيء» أجابته بانزعاج واضح.

«لا تغضبي، لقد طرحت عليك مجرد سؤال. ان ولديه سيأتيان غداً من أجل درس الفروسية لمدة ساعة، أعتقد أنه بعد أسبوعين سيصبح بإمكانهما الاهتمام بالمهر».

«هل سيصطحبهما والدهما؟».

«نعم، فهو يصطحبهما الاحد كلما كان لديه وقت فراغ. هل كنت تجهلين؟».

«لا، كنت في الخدمة خلال الاجازات الأخيرة. واندريه؟ هل يأتي أحياناً؟».

«نعم، فهو يتدبر أمر مجيئه أثناء غيابك».

«أوه، هذا ليس مهماً. أشعر بأنه يواسي نفسه مؤخراً، اليس كذلك مارك؟ كيف هي مساعدته الجديدة؟».

«انها امرأة شقراء طويلة نحيفة» أجابها مارك ضاحكاً.

«ربما هي المرأة التي تناسبه، لكنني أتمنى أن يكون لطيفاً معها».

«ماذا تقصدين؟» سألها بدهشة.

«أوه، لا شيء..».

اذا كان اندريه لا يزال يتردد على منزلها واذا كان بيتر يراه هنا، فلا بد أن بيتر يعتقد أنها لا تزال تخرج مع اندريه لطالما أنه يستمر بزيارة المنزل، هذا يشرح موقفه منها.

منذ عيد الميلاد وهو يعاملها بتعاون ولطف أثناء العمل وكأنه نسي تماماً مشاكلهما الشخصية، الا أنه لم يحاول أبداً أن يلتقي بها خارج المستشفى. كم تبدو لها سهرتهما الحميمة بعيدة! مع أنه لم يمر الا بضعة أسابيع فقط عليها.

كان من بين المرضى في المستشفى امرأة مسنة تطلب كل يوم باقة من الأزهار، لكن لم يكن هناك أحد يزورها، فقررت لارا أن تحمل لها اليوم باقة من البنفسج كي ترى ابتسامتها. توقفت أمام بائع الأزهار واشترت الباقة. بينما كانت تدفع ثمنها لمحت بيتر دارتنل يمر بسيارته. للحظة واحدة، التقت نظراتهما، لكنه لم يتوقف وتابع طريقه.

كان بيتر يرغب بالتوقف وبالتكلم معها، فبالرغم من لقاءاتهما اليومية في المستشفى، لكنه كان دائماً يرغب بالنظر اليها وسماع صوتها وضمها بين ذراعيه، الا أنه تابع سيره لأنه يشعر بالضعف أمامها عندما يلتقي بها خارج المستشفى لأنه من الصعب عليه عندئذ أن يتمالك نفسه.

هذا الصباح، عندما كان يقوم بجولته اليومية على

الغرف، توقف قليلاً أمام سرير السيدة المسنة ولاحظ على الفور باقة البنفسج على الطاولة الصغيرة، فأدرك عندئذ مدى لطف لارا.

«جميلة هذه الباقة، اليس كذلك دكتور؟» سألته المرأة: «كما وأن رائحتها جميلة جداً».

«نعم» قال وهو يشم الباقة: «يا لرائحتها الجميلة! أفهم أن الزهور تسعدك».

ثم نظر الى لارا التي كانت تقف بجانبهما وتحمل الملفات بين ذراعيها. فارتسمت ابتسامة على وجهه ورقت ملامحه.

عندما يكون الطقس جميلاً، يصعب على لارا أن تجد وقتاً للراحة أيام اجازات نهاية الأسبوع، فهناك الحديقة التي بحاجة للاهتمام وكذلك تنظيف المنزل والعناية بالخيول. كما وأن شقيقها ينوي تغيير الديكور في المنزل قبل زواجه ويتناقش معها يومياً حول هذا الموضوع.

ذات صباح مشمس، سمعت لارا صوت بيتر في الحديقة فلم تستطع منع نفسها من النزول.

«ها هما، مارك» قال بيتر مشيراً الى ولديه: «ولكن لا يمكنني البقاء، سأعود في الساعة الواحدة لاصطحابهما».

«لا تقلق، لست أدري من سيعطيهما الدرس اليوم، لكنهما سيحصلان عليه، سيكون بإمكانك أن تأخذ المهر بعد أسبوعين على الأكثر وسيكون بإمكانك الاهتمام به».

«حسناً» والتفت ليرحل، فلمح لارا.

«صباح الخير، آنسة غروفر. أنت بإجازة اليوم؟ أعتقد

أنك ستغتنمين الفرصة لقضاء بعض الوقت في الغابة، الطقس جميل».

«لدي كثير من العمل في المنزل» قالت آسفة: «لدرجة أنني لست أدري من أين أبدأ».

«أيمكنك أن تتدبري أمور المنزل بالاضافة لعملك في المستشفى؟».

«لم لا؟ لطالما تدبرت أموري».

خلال هذا الوقت كان الولدان يتشاجران من أجل معرفة من سيمتطي المهر أولاً.

«اهدأا» نهرهما والدهما بحزم: «أطيعا السيد غروفر».

عندما رحل بيتر، بدلت لارا ملابسها لأنها هي من سيعطي الولدين درس الفروسية اليوم.

«الأمر ليس سهلاً» قالت لارا لأخيها بعد الدرس. ولكني أعتقد أنهما أصبحا قادرين على التصرف وحدهما. لماذا لا تسلمهم المهر؟».

«حسناً، سأسلمهم اياه في الأسبوع القادم. هذا على الأقل يوفر على والدهما التعب. هو أيضاً بحاجة للراحة يوم الاحد».

في اللحظة التي كانت تدخل بها الى المنزل، رأت سيارة اندريه. لحسن الحظ أنه لم يلتق ببيترا! ولكن للأسف، هي تجهل أنهما التقيا على الطريق وشعر بيتر بالغضب الشديد.

في اليوم التالي، جاء د. غراي للقيام بجولة على المرضى وحده هذه المرة.

«د. دارتنل أخذ اجازة لبضعة أيام» قال د. غراي للارا: «ألم تكوني تعلمين؟».

«لا» أجابته متظاهرة باللامبالاة.

غيابه هذا جعلها تشعر بخيبة كبيرة وتساءلت عن سبب تكتمه حول هذه الاجازة، وتمنت لو تلتقي به خارج المستشفى. عندما رأته بالأمس مع ولديه كان أنيقاً جداً ويبدو أصغر سناً، انه بالفعل يسحرها بطلته البهية.

مر الأسبوع ببطء. كانت الحالات الطارئة قد تتالت وكل أجراس الأسرّة كانت ترن في وقت واحد، كما وأن بعض المشاكل طرأت بسبب الممرضات المتمرنات. كان على لارا أن تهتم بكل هذه الأمور وهي تراقب عقارب الساعة.

رغم كل شيء، كانت سعيدة بالقيام بمسؤولياتها الجديدة. فكانت تنهض باكراً ولا تتأخر دقيقة واحدة وتجد لذة بالعناية بالمرضى.

قررت لارا أن تأخذ اجازة في فصل الصيف القادم، لكنها حتى الآن تجهل الى أين ستذهب وكانت قد قرأت عدة اعلانات عن وكالات سفر تنظم رحلات سياحية، لكنها لم تكن تعلم ما الذي يجذبها: الرحيل وحدها أم مع جماعة.. باختصار كانت حائرة.

يوم الاحد التالي، جاء ولدا بيتر برفقة أحد أصدقاء والدهما ووعدها بأنه سيمر لاصطحابهما بعد الدرس. فاقترحت لارا على أخيها أن تعطيهما هي الدرس على أمل أن تحصل منهما على أخبار عن والدهما.

«والدي سيعود هذا المساء» قالت جنيفر عندما امتطت المهر.

«آه؟ اذاً كان مسافراً؟» سألتها لارا بحذر.

«ذهب لقضاء بضعة أيام في جزيرة وايت عند عرّابي».

«لا بد أنكما تفتقدانه؟».

«نعم، ولكن كان يجب أن يذهب لأنه كان متعباً».

«بدون شك، انه يعمل كثيراً في المستشفى».

«ويتأخر أيضاً».

«انه بحاجة للراحة خاصة بعد ذلك الحادث» قال دوريان: «لكنه بالرغم من ذلك سيرافقنا في اجازة الصيف القادم».

«الى أين ستذهبون؟».

«أحد أصدقاء والدي سيعيرنا منزله في فرنسا، انه كبير ويحتوي على حوض للسباحة» قال دوريان بحماس.

«لكنك لا تعرف السباحة» ذكرته شقيقته بسخرية.

«قال والدي بأنه سيعلمني».

«وأنا أيضاً..».

نبهتها لارا لتشد ركبتيها وتمسك بالعنان جيداً، كانت تحدث الولدان لكنها لم تكن تفكر الا بالوالد. كيف تفعل لتتوقف عن حبه؟ انها عاجزة عن ذلك. لقد حاولت أن تكتفي برؤيته في المستشفى فقط، أن تنظر اليه من بعيد من نافذة مكتبها عندما يكون متجهاً نحو سيارته. وعندما يصادف أن تلتقي نظراتهما، تشعر بأن قلبها سيقفز من صدرها. لم تكن تريد التفكير بأي رجل آخر يدخل حياتها

غيره. لقد أدركت وبدهشة كبيرة أن الحياة بجانبه هي هدفها الوحيد وقلما تهمها الوسائل.

صباح يوم الاثنين، ذكرتها مفكرتها بأول اجتماع لها كرئيسة لهذا القسم. كانت تشعر ببعض الخجل. ولكن كل شيء مر على ما يرام، فعادت الى مكتبها لتشرب القهوة مع صديقتها سو.

«اننا لا نرى د. دارتنل هذه الأيام» قالت لها سو بمكر: «ماذا حل به؟».

«انه بإجازة. ولكني أعتقد أنه سيعود اليوم».

كانت طوال مدة غيابه تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر لترافقه بجولته على المرضى، بعد قيامه بالكشف على مرضى العيادة الخارجية. كان لديها فكرة عن مشاكل بعض المرضى ولكنها كانت تعرف بأنها لن تقول شيئاً اذا لم يسألها. ليس من شأنها هي أن تقدم أي اقتراح لرئيس العيادة. لكنها ستجيبه اذا سألها.

هذا اليوم كانت ممرضتان غائبتين، فاضطرت لارا للقيام بعملهما بالاضافة لعملها ولمواجهة كل المسؤوليات ومساعدة الأخرين المنهمكين أيضاً. هل ستجد على الأقل وقتاً لتناول الغداء؟.

ولكن لا، تذكرت أنها وعدت احدى الممرضات أن تنوب عنها ساعة الغداء لأن الممرضة مضطرة للذهاب الى عيادة طبيب الأسنان.

عندما مرت عربة الطعام بجانبها، رفعت الغطاء عن أحد الأطباق.

«أوه، يا لرائحته اللذيذة، الغداء اليوم الدجاج بالشوربة!».

وسال لعابها أمام منظر ورائحة الطعام، لكن الوقت لم يحن بعد كي تتناول هي غداءها ولو بسرعة.

عندما جاء أحدهم يسلم باقة من الأزهار يرسلها أحدهم لأحد المرضى، استلمتها لارا ورفعتها لتشمها. في هذه اللحظة، سمعت صوتاً خلفها جعلها تنتفض: «هل هذه الباقة لك، آنسة غروفر؟ من قبل أحد المعجبين؟».

ارتبكت لارا وقالت متلعثمة: «أوه، بيتر.. د. دارتل! وأخيراً عدت.. هل كانت اجازتك موفقة؟».

«تقريباً، على كل حال انه بعض التغيير».

«هل أعجبتك جزيرة وايت؟».

«وكيف علمت بأني كنت هناك؟» سألها بدهشة.

«من ولديك» اعترفت بخجل.

«آه، بالمناسبة، هل يتحسنان؟».

«نعم، بإمكانك أن تستلم المهر اذا أردت، أصبح بإمكانهما تحمل مسؤوليته. على كل حال، هما يحبانه وتعلقا به كثيراً».

«حسناً، ولكن قولي لي، كنت ستتناولين غداءك، هل أخرتك؟».

«ليس لدي الوقت لأتناول الغداء الآن، فأنا أنوب عن الآنسة لندي حالياً. ولكني سأشرب القهوة، وبإمكاني أن أقدم لك فنجاناً اذا كنت ترغب».

تبعها مبتسماً. يبدو أنه سعيد برؤيتها تدير هذا القسم

وتحتل مكتب الادارة.

«أنت لم تعدِ القهوة بعد!» قال ملتفتاً حوله: «هل ستقدمين لي القهوة السريعة التحضير؟ أفضّل أن لا أشرب».

«كما تريد» قالت بجفاف.

«أوه، أنت تعلمين، ليس لدي وقت للانتظار» قال آسفاً: «الى اللقاء».

أدركت لارا أنه كان يرغب بالثرثرة معها لكن وقته لا يسمح له بذلك. فالمرضى بانتظاره ولا يدركون مدى تضحيات الأطباء!.

فتحت لارا له الباب فخرج بعد أن ابتسم لها بلطف. ظلت وحدها تفكر بحديثهما محاولة اكتشاف ما كانت تأمل به. ألم تلاحظ بعض الدفء في صوته وبعض الرقة في نظراته؟ ألم ينظر اليها بعدوانية أقل؟ آه، هل سيتصالحان يوماً؟.

كان أكثر الحديث يدور بينها وبين شقيقها حول استعدادات لزواجه ولانتقال هيلين للعيش في منزلها الزوجي.

«حسناً» قال مارك للارا: «ستحتفظين بغرفتك ولن تضطري لتغيير شيء من عاداتك طالما أنك تريدين مشاركتنا المنزل».

«ألا تعتقد أنه من الأفضل أن نقسم المنزل لشقتين منفصلتين؟» اقترحت لارا: «سيكون من الصعب عليّ أن أبقى معكما في الصالون كل مساء، مثلاً. واذا أردتما دعوة

بعض الأصدقاء، ستفضلان بدون شك استضافة بعضهم. كما وأنه من الصعب وجود امرأتين في المطبخ.. واعداد الوجبات في أوقات مختلفة.. لا، مارك يجب أن نفكر بحل آخر كي أشعر بالراحة في منزلي».

«لكن هيلين راضية عن الوضع هكذا.. ماذا تقترحين؟».

كانت لارا تحب هيلين، لكنها تفضل أن تكون حرة في منزلها الذي عاشت فيه مع والديها. وكانت هيلين قد أمرت بالتخلص من بعض الأثاث لتغيير ديكور بعض الغرف بحسب ذوقها هي. ويجب ايجاد مكان لهدايا الزواج التي لن تتأخر بالوصول.

«لا مارك، اذا كنا نريد أن نعيش بوفاق، يجب أن يكون لكل منا شقة مستقلة».

«حسناً، بإمكانك أن تناقشي هيلين بالأمر».

«هل حددت موعد الزفاف؟».

«في الأسبوع الثاني من شهر آب، اذا لم يطرأ أي طارىء».

«يجب أن أعلم مسبقاً كي أتدبر أمر اجازتي الصيفية وأحدد الموعد مسبقاً لادارة المستشفى. على كل حال سيحين موعد اجازتي الربيعية بعد أسبوعين. وأؤكد لك أنني بحاجة حقاً لهذه الاجازة. على كل حال، لا تقلق، سأكلم هيلين بشأن المنزل».

ان الاجازة والابتعاد عن المستشفى فكرة جيدة، ولكنها بالوقت نفسه تحكم عليها بأن تحرم عينيها من رؤية بيتر.

على كل حال لم يعد كل يوم أحد لزيارتهم طالما أن المهر أصبح عنده والولدان يهتمان به جيداً.

بالرغم من ذلك، عندما حان وقت الاسترخاء، أعجبت لارا بالراحة، لقد كانت متعبة جداً في الفترة الأخيرة وتستحق فعلاً هذه الاجازة لترتاح جسدياً وفكرياً أيضاً من رؤية المرضى المتألمين. كانت بحاجة لأن تجد نفسها ولأن تحدد وجودها.

وهكذا، كانت كل يوم تتنزه على صهوة جوادها في الغابة الخضراء في نهاية فصل الربيع هذا.

كان الطقس الجميل يجذب العديد من السواح الى الغابة، لكن لارا كانت تعرف كيف تتجنبهم باختيارها الممرات البعيدة عن الطريق العام. هناك، بين الأشجار الكثيفة، لم تكن الحيوانات البرية تخيفها ولا تعترض طريقها.

كانت لارا تعتبر نزهاتها في الغابة المنفس الوحيد لها. هذا اليوم، كان الطقس جميلاً ومشمساً، فأوقفت حصانها وربطته بجذع شجرة ونزعت قبعتها لتترك الهواء يتلاعب بشعرها وجلست على الأعشاب مستندة على جذع الشجرة.

أخذت تفكر بموقف بيتر منها خلال الأيام الأخيرة التي سبقت اجازتها. لقد لاحظت مؤخراً أنه أصبح أقل جفاءً معها، حتى أنهما تحدثا لدقائق طويلة قبل يوم من بدء الاجازة. كان قد طلب منها أن تعد له بعض تقارير الفحوصات من أجل يوم الاثنين التالي، فقالت له بأنها

ستكون بإجازة.

«أوه!» قال بدهشة: «ستتغيبين لمدة أسبوع؟».

«نعم».

«ستسافرين؟».

«لا، سأبقى في المنزل».

«لقد مر هذا العام بسرعة! ألا تشعرين بأن عملنا يقضي على حياتنا الخاصة؟».

«نعم» أجابته بهدوء: «لكنني اخترت هذه المهنة بكل ارادتي ولم يرغمني أحد».

«أعلم. ولكن ما أن نتخذ القرار، حتى نصبح فريسة لهذه المهنة. أذكر أنني عندما كنت أدرس الطب لم أكن أرى أبعد من الشهادة. ولكن هذا لا يُعِدُّنا حقاً لهذه الحياة ولما ينتظرنا في الواقع..».

كان يبدو يائساً وتمنت لو يقوم بالخطوة الأولى نحو مصالحتها.

«بدون شك أنت بحاجة لتغيير أفق حياتك وللحصول على الراحة الحقيقية. أنت ضحية للارهاق، برأيي».

كان كتفه قد لامس كتفها عندما انحنيا ليلتقطا بعض الأوراق التي وقعت على الأرض، فلمحت الحنين في عينيه، لكنه خرج بعد أن تمنى لها اجازة لطيفة.

نهضت لارا ونفضت ما علق بملابسها من الأعشاب، وضعت القبعة على رأسها وامتطت حصانها لتتابع طريقها.

في هذه المنطقة الكثيفة الشجر من الغابة، كانت تعلم أنها لن تلتقي بأحد كالعادة، لكن حصانها رفع أذنيه فجأة

وأحست لارا بالخوف، فهذا الحيوان شعر بأن شيء في الغابة غير طبيعي. توقفت وأصغت جيداً علّها تسمع حركة ما.

هناك، نحو اليمين، سمعت بكاء أولاد. ولكن الأشجار كانت كثيفة وتمنعها من الرؤية بعيداً. دفعت حصانها في ذلك الاتجاه، وهي تتساءل ماذا يفعل أولاد وحدهم في هذه المنطقة البعيدة من الغابة؟.

بعد لحظات لمحت قميصاً أحمر مقلماً وشعراً أسود لصبي صغير. نزلت عن صهوة حصانها وركضت نحوه.

«هذا أنت دوريان؟ آه، جنيفر أيضاً! لماذا أنتما بعيدان عن المنزل؟».

وانحنت لتضم الفتاة بين ذراعيها. كانت جنيفر تبكي وترتجف فرمت نفسها على صدرها.

«اهدأي يا عزيزتي، أنا هنا، كل شيء سيسير على ما يرام».

حاول دوريان الاجابة على أسئلتها، لكن ذقنه كان يرتجف.

«انه المهر» قال بصوت مرتجف: «لم يعد يريد متابعة السير بسبب الألم في قدمه وهو ينزف».

«أين هو؟ آه، لقد ربطته الى الشجرة، سألقي نظرة عليه».

«كنت أريد أن أتركه هنا ريثما نحصل على النجدة. ولكني أعتقد أننا تهنا في الغابة».

ورفع نحو لارا عينيه اللتين تشبهان عيني والده. كان

يشعر بالذنب والخوف.

«حسناً» قالت لارا وهي تنهض: «لا يدهشني ان يرفض المهر السير. فبالاضافة لجرحه فقد نضوته. هل كنتما انتما الاثنان على صهوته؟».

«نعم» أجاباها بصوت واحد.

«أول شيء يجب أن نقوم به هو أن نعيده الى المنزل للمعالجة، يجب عليكما ألا تغامرا في الغابة بعيداً وحدكما من الآن وصاعداً!».

«لقد خفنا كثيراً».

«أعلم ذلك! والآن، هيا بنا نعود. قولا لي أين يقع منزلكم. ستمتطيان كلاكما حصاني وأنا سأقود هذا المهر المسكين».

سرّ الولدان بامتطاء الحصان الكبير لدرجة أنهما نسيا قلقهما وخوفهما. لكن لارا كانت قلقة لأن حصانها ليس معتاداً على الغرباء وخافت أن يصبح عصبياً. كما وأنها وجدت صعوبة في جعل المهر يتبعها. كان يعرج وقد بدا لها الطريق طويلاً جداً.

وأخيراً تعرّف الولدان على طريق منزلهما، فتنفست لارا الصعداء.

انه منزل كبير على الطراز الفكتوري يفصله ممر طويل عن الطريق العام، محاط بالأبواب الزجاجية العريضة يتوسط حديقة واسعة غنّاء. تأثرت لارا برؤية هذا المنزل الجميل ولكنها لم تندهش: فهذا الاطار يناسب تماماً شخصية بيتر دارتنل.

دخلت الحديقة المنمقة واتجهت على الفور نحو الاسطبل الذي لمحته من بعيد. كانت دهشتها كبيرة عندما لم يظهر أحد لاستقبالهم. يبدو أن غياب الولدين لم يسبب أي قلق في المنزل.

ساعدت الولدين بالنزول عن الحصان ثم ربطت حصانها بحلقة معلقة على الجدار وقادت المهر الى الاسطبل ثم جعلته يتمدد على القش لتفحصه مرة أخرى لكن ليس من حقها أن تقرر اذا كان الأمر يستلزم الاتصال بالبيطري، بل هذا القرار من حق بيتر.

مرت دقائق ولم تر أحداً، فسألت الولدين: «ألا يوجد أحد في المنزل؟ أتعرفان كم كانت الساعة عندما خرجتما من المنزل؟».

«خرجنا بعد أن تناولنا الغداء» أجابها دوريان: «في الساعة الواحدة تقريباً».

«انها الساعة الرابعة الآن» قالت بدهشة وهي تنظر الى ساعة يدها: «لا بد أنكما جائعان!».

«لقد ذهبت جانيت التي تهتم بنا لزيارة أمها، ولم يبق الا الطاهية، لكنها امرأة مسنة».

«وجدتكما؟».

«انها تنام بعد الظهر لأنها متعبة منذ بضعة أيام».

«هيا بنا الى المنزل» قالت لارا: «لا تبدوان متحمسين! لا بد أنكما تخشيان اللوم؟ لا بد أيضاً أنهم قلقون على غيابكما. أعتقد أن والدكما لن يتأخر بالعودة».

«نادراً ما يأتي قبل موعد العشاء» قال دوريان وقاد لارا

نحو المنزل، لكنه لم يتجه نحو الباب الرئيسي ولكن نحو باب أصغر. مروا أمام نافذة مفتوحة وسمعوا صوت آلة الخلط، يبدو أن الطاهية تعد الطعام.

دخلت لارا المطبخ تتبع الولدين فوجدت امرأة مسنة تعد الطعام وحدها.

«ها قد عدتما! يا لحالتكما المزرية!» صرخت المرأة عندما رأتهما: «ولكن من هذه السيدة؟».

«كان دوريان وجنيفر تائهان في الغابة» أجابتها لارا: «لقد جرح المهر وكانا خائفين فاصطحبتهما الى المنزل. وهما جائعان».

«كان يجب أن يأكلا في الساعة الرابعة، لقد تأخرا».

«أيمكنني رؤية السيدة دارتنل، جدتهما؟» سألتها لارا محاولة الحفاظ على هدوئها.

«انها في غرفتها. قدمت لها الشاي منذ ساعة. حسناً، سأعد لهما الطعام».

«هيا، اغسلا أيديكما ووجهيكما» قالت لارا لهما.

ابتعد الولدان، فساعدت لارا الطاهية باعداد الطعام لهما، بعد قليل عادا نظيفين.

بعد دقائق فتح باب المطبخ وظهرت السيدة دارتنل، ونظرت الى لارا باستفهام وعجرفة، ثم قالت أخيراً: «ولكن.. يبدو لي أنني رأيتك من قبل.. في المستشفى؟».

«نعم، هذا صحيح. مساء الخير، سيدة دارتنل، أنا لارا غروفر شقيقة مارك الذي كان يعطي الولدين دروساً

بالفروسية».

«آه، نعم. اذاً أنت الممرضة التي وجدت بيتر أثناء الحادث».

«نعم، أيمكنني أن أكلمك لبضع دقائق. لقد جرح المهر وهو بحاجة لطبيب بيطري. أعتقد أنه يجب اطلاع د. دارتنل على بعض الأمور».

«لقد عدتما لتوكما، كما يبدو» قالت الجدة لحفيديها بحدة.

نظرت جنيفر الى جدتها وكادت تختنق وهي تبلع طعامها وفهمت لارا أنها تخاف من جدتها، بينما توقف دوريان عن تناول طعامه. يبدو أنهما خائفان جداً.

هل سيعاقبان؟ ماذا سيقول والدهما؟.

لم تعر الجدة أي اهتمام لقلقهما.

«فات موعد طعامهما الآن» قالت للطاهية بحزم.

«لن يتناولا شيئاً آخر حتى فطور الغد».

«أنا اقترحت عليها أن تعد لهما الطعام» شرحت لارا التي كانت تراقب حتى الآن بدون كلام.

«اعتقد أنك كنت تريدين مكالمتي، آنسة.. غروفر» قالت الجدة أخيراً: «اذا كنت مصرة، اتبعيني..».

وسبقتها الى ممر مغطى بالسجاد السميك وعبرت المدخل ثم دخلت الى صالون واسع يضم أثاثاً أثرياً وتزين جدرانه اللوحات الجميلة وتتناثر في زواياه التحف الفنية، بينما الستائر تتناسب بألوانها مع السجاد والديكور.

هذه الغرفة تجعل المرء يشعر بالراحة، لكن لارا كانت

متوترة.

«حسناً، آنسة غروفر، أنا أستمع اليك» قالت الجدة وهي تجلس: «تفضلي بالجلوس، أرجوك. أعتقد أنك تودين الكلام معي عن الطفلين. هل ارتكبا أية حماقة؟».

«لست أعلم اذا كان بإمكاني أن أعتبرهما المسؤولين عن ارتكاب الحماقة، سيدة دارتنل، أعترف لك بأنني تفاجأت بهما في عمق الغابة وحدهما هذا أمر لا يجب التغاضي عنه وخاصة بالنسبة للشخص المسؤول عن الاهتمام بهما. كانا خائفين وتائهين بعيداً جداً عن منزلهما. ولو كانوا قد نظموا عملية للبحث عنهما، لكان احتمال ايجادهما ضئيلاً جداً. أنت بالتأكيد تدركين مدى الخطر الذي يهدد الاطفال الصغار الذين بدون مراقبة. اذا كنت لا تدركين ذلك، فوالدهما يدرك الأمر بالتأكيد.. أنا مقتنعة أن هذين الولدين لشدة رعبهما كانا سيتبعان أي شخص يدعي أنه سيرشدهما الى المنزل.. هكذا تحدث عادة المآسي العائلية المماثلة، سيدتي! أنت تفهمين جيداً، انه بهذا الوقت، لم يكن بإمكانهما أن يكونا في المطبخ يتناولان الطعام وانه كان بالامكان أن لا تروهما أبداً؟ هل أنت على علم بكل المخاطر التي تنتشر بالغابة؟ دون أن نتكلم عن اللصوص والخاطفين. يا الهي، أشعر بالرعشة عندما أفكر بما كان ممكناً أن يحصل لهما..».

«هل انتهيت، آنسة غروفر؟».

فهمت لارا الآن من أين ورث بيتر تعجرفه! السيدة دارتنل كان قد شحب لونها وزمت شفتيها وبدا الاحتقار في

نظراتها.

«آنسة غروفر» قالت آخيراً: «لو لم أكن أعلم أن تصرفك كان لمصلحة الأولاد، لاعتبرتك فظة و.. ان من يسمعك يعتقد أنني أنا المسؤولة عنهما».

«ألست كذلك؟ الست المسؤولة عنهما أثناء غياب والدهما؟».

«لقد سبق ونصحته أن يضعهما في مدرسة داخلية، لكنه رفض. يريد أن يراهما بقربه. كل شيء يسير على ما يرام عندما يكونا في المدرسة، طبعاً، والباص يعيدهما الى المنزل. لكن بيتر اشترى لهما مهراً كي يتنزها في الغابة أثناء وقت فراغهما».

«لكنه بالتأكيد، لم يكن يتوقع أن يتخطيا حدود الغابة القريبة على الأقل بدون مراقبة. أؤكد لك أنهما كانا بعيدين جداً وبحالة تثير الشفقة!».

نهضت السيدة دارتنل تريد وضع حد لهذا النقاش: «سأخبر ولدي بملاحظاتك. لن أؤخرك أكثر، آنسة غروفر».

وقبل أن تخرج، التفتت لارا نحو والدة بيتر: «أعذريني لأني أزعجتك، سيدتي. لقد تكلمت بصراحة. ولكن صدقيني، هذا لمصلحة الأولاد».

«شكراً لك» أجابتها السيدة دارتنل بجفاف.

«ولكن كما ترين، صحتي ليست جيدة وأفضل مناقشة هذا الأمر مع ولدي عند عودته. أوه، يبدو أنه جاء..» أضافت عندما سمعتا هدير سيارة تقترب.

أخذ قلب الفتاة يدق بسرعة.

«حسناً، آنسة» قالت السيدة دارتنل: «بإمكانك أن تشرحي له المسألة بنفسك».

بعد لحظات، كان بيتر يدخل بخطى مسرعة والغضب يلمع في عينيه.

«لارا!» قال بدهشة: «ماذا تفعلين هنا؟ هل الحصان الذي في الخارج لك؟ أتعلمين أنه كان يأكل الأزهار؟».

ارتبكت لارا من هذا الموقف ووجدت صعوبة في حبس ضحكة هيستيرية.

«وأخيراً، ألن تخبريني بسبب وجودك في منزلي؟» سألها بنفاذ صبر بينما كانت عيناه تقدحان شرراً.

«سأكلمك لاحقاً، ولكني الآن سأذهب لانقاذ أزهارك، خلال هذا الوقت ستشرح لك والدتك كل شيء..».

كانت تهم بامتطاء حصانها عندما رأت بيتر يقترب منها بوجهه الحازم. بدون شك يظن بأنها تتدخل بأمور لا تعنيها. حسناً، المهم أن يعلم بالأمر كي ينتبه أكثر على أولاده. لكن دهشتها كانت كبيرة عندما سألها عن المهر بدل أن يسألها عن الولدين.

«هل حالته سيئة؟» سألها بقلق.

«لست أدري تماماً، لكنه كان يعرج وفقد نضوته».

«ولكن ماذا فعلا بهذا الحيوان؟» تساءل بحدة.

تبعته الى الاسطبل حيث انحنى ليفحص جروح المهر.

«أعتقد أنه يجب عليّ الاتصال باندريه!».

«لديه مساعدة جميلة، اذا كنت لا تريد رؤيته هو،

بإمكانه أن يرسلها بدلاً عنه» قالت لارا وهي تنظر اليه بمكر.

نهض بيتر وراقبها بدهشة. كانت لارا واثقة من نفسها فتمكنت من تحمل نظراته دون أن تخفض أنظارها.

«نعم» قالت بالحاح: «أطلب من مساعدته المجيء اذا كنت لا ترغب برؤيته».

«ان وجوده لا يزعجني أبداً كما تقولين. ولكني لا أستلطفه، هذا كل ما في الأمر. اذا كان يعلم بأنك هنا، سيأتي مسرعاً على الفور. على كل حال، ستكون هذه أفضل وسيلة للحصول على خدمة فورية».

ثم لاحظ أنه بالغ، لكن كبرياءه يمنعه من الاعتذار.

«حسناً، أعتقد أنه بإمكاننا أن نتكلم في المنزل بهدوء. هل تأتين لشرب كأس؟ الجو في الداخل سيكون أفضل لمناقشة هذه المشكلة.. اذا كان هناك من مشكلة!».

«لا تسخر مني، دكتور، الأمر جدي. حسناً سأدخل منزلك وأرحّب بكأس من المارتيني مع كثير من الثلج».

«لا أسهل من ذلك. شقتي تقع في الأعلى، أعيش فيها مع ولدي، بينما والدتي تشغل الطابق السفلي، هذا التدبير يريح الجميع».

تبعته وصعدت الدرج ثم دخلت معه الى غرفة واسعة محاطة بالنوافذ الزجاجية العريضة وتغطيها الستائر البيضاء.

«أوه، يا للصالون الرائع!» قالت بإعجاب وهي تتأمل أثاث الغرفة وألوانها: «انها مفاجأة!».

«هل كنت تعتقدين أنني أشارك والدتي ذوقها بما يختص

بالدكتور؟ حتى أن جنيفر ودوريان لهما غرفة خاصة يرتبانها على ذوقهما. لدي هنا مطبخ خاص ومكتب وغرفة نوم خاصة أيضاً. كل واحد يرتاح في مكانه، هذا أفضل شرط من شروط العيش بسلام».

«لقد أخبرني ولداك بأن هناك امرأة تدعى جانيت تهتم بهما».

«نعم، وهي بإجازة اليوم. هذا ما يفسر ما حصل اليوم، على ما أعتقد. حسناً، اليس من الأفضل أن أتصل باندريه كي يأتي ليرى المهر بأسرع وقت ممكن؟».

«نعم، كلما جاء بوقت أسرع، كان هذا أفضل بالنسبة للمهر» اتجه بيتر الى غرفة المكتب ليعود بعد قليل.

«لا يرد. مشغول جداً، لكنه سيرسل مساعدته».

«حسناً» قالت لارا بابتسامة مكر.

جلس بيتر على الكنبة المواجهة وهو يحمل كأسه ومد ساقيه أمامه متنهداً: «لو نتكلم عما حصل اليوم؟ كنت تبدين غاضبة جداً كما قالت والدتي. أهذا يحصل معك دائماً، لارا؟».

«تقريباً، ولكنني غالباً ما أتمالك نفسي. أتريدني أن أتكلم بصراحة؟».

«بالتأكيد، أرجوك».

«يبدو لي أنك لا تهتم كفاية بأمن وسلامة ولديك، خلال وجودك في المستشفى..» وقطعت كلامها.

«تابعي» قال بجفاف.

«أعلم أن عملك مهم جداً بالنسبة لك، ولكن ماذا عن

مسؤولياتك كوالد؟ أؤكد لك أن ولديك كانا بخطر اليوم. ان المخاطر كثيرة وخاصة في الغابة، أنت لا تجهل ذلك، بيتر.. عندما أعدتهما الى هنا، لم نلتق بأحد على الطريق. ألا تعتقد أنه كان من الممكن أن يلتقيا بأحد الأشرار؟ من السهل جداً اغراء الأطفال! ليتك رأيتهما في تلك الحالة التي وجدتهما فيها. كان وجهاهما مبللين بالدموع وهما خائفان جداً لأنهما أدركا أنهما ضاعا في الغابة. كما وأن المهر كان جريحاً ويرفض السير.. كانا قد ربطاه وقررا العودة سيراً على الأقدام. أتساءل كيف كانا سيعرفان طريق العودة! أتعتقد أنني أبالغ؟».

«اشربي كأسك، سأعد لك بعض الطعام».

«لست جائعة».

«ابقي لتناول العشاء معنا؟».

«لا، شكراً».

«السماء أرسلتك اليوم لانقاذ أولادي. ألم تكوني تشكّين بأنك قريبة من منزلي؟ يا للصدف!».

«لا أفهم تلميحاتك، لكن موقفك يشعرني بالخيبة، أرى أنك تهتم للنظريات أكثر بكثير مما تهتم بأولادك» ونهضت رافضة الكأس الذي قدمه اليها.

«اجلسي!» أمرها بجفاف.

لاحظت ذقنه المرتجف الذي يدل على مدى انفعاله.

«أنت محقة» أضاف محاولاً الحفاظ على هدوئه: «أنا لم أهتم جيداً بولدي. لقد اشتريت لهم هذا المهر كي يتنزها في الغابة أثناء فراغهما، ولكن ليس ليضيعا. الطاهية

ليست مسؤولة عن مراقبتهما، ولقد كانت والدتي تأخذ قيلولة. حتى جانيت، لا تهتم بهما كما يجب لأنها تبقى منهمكة بأعمال المنزل. أعلم أنه كان يجب عليّ ارسالهما الى مدرسة داخلية، ولكني كنت أفضل الاحتفاظ بهما بجانبي..».

«أوه نعم، أفهمك جيداً».

اجتاحتها موجة من الحنان عندما لاحظت حزنه. تأثرت كثيراً ونظرت اليه متمنية أن تضمه بين ذراعيها لتطمئنه. لكن كبرياءها منعها.

عندما رأى بيتر الدموع تتلألأ في عينيها، تقدم نحوها ثم توقف فجأة: «لا تحزني من أجلي، الأفضل أن تفكري بحياتك الخاصة. متى ستتزوجين من البيطري؟».

اذاً حانت اللحظة التي كانت تنتظرها منذ وقت طويل.

كان بيتر ينظر اليها وقد تقلصت أصابعه حول كأسه، لكن الفتاة لم تكن تدري من أين تبدأ بالكلام، كما وأن بيتر لم يكن يتوقع سماع هذه الكلمات التي تلفظت بها بعنف مكبوت.

«أنا لا أحب اندريه ولست خطيبته» صرخت لارا: «كما وأنه لا مجال للزواج بينه وبيني».

«هيا، لارا» قال لها باحتقار: «لقد أكد لي بنفسه وأمامك أنت أنكما مخطوبان».

«لقد خدعك تماماً».

«ولكن لماذا؟» سألها بدهشة.

«بدافع الغيرة. لأنني كنت قد اعترفت له بأنه لا يمكنني

مشاركته عواطفه، وكان يعلم أنني قضيت السهرة معك في اليوم السابق، كان منفعلاً بشدة».

«ولكنني رأيتك بين ذراعيه، وأنا لا أصدق الا ما أراه بعيني!» قال بحدة.

«ان المشهد الذي رأيته كان خدعة مريرة من قبل اندريه. كان قد رآك تصل، أما أنا لم أكن قد رأيتك. افتعل المشهد ثم اعتذر فيما بعد، ولكن ما حصل كان قد حصل. ومنذ ذلك اليوم لم أره ولم أقابله. حتى أنني علمت بأنه يواسي نفسه مع مساعدته!».

«أوه، لارا. كم أنا آسف لأنك لم تبددي سوء التفاهم هذا من قبل!» قال آسفاً وهو يدنو من النافذة: «مع أن الفرصة كانت مناسبة لذلك ليلة عيد الميلاد عندما أسأت التصرف معك».

«ولكن» قالت متلعثمة وشفتاها ترتجفان: «كيف كان سيمكنني ذلك بعد أن سمعت كلماتك الجارحة؟».

«نعم، أنت على حق».

كانت تفكر وتأمل أن يقترب منها ويضمها بين ذراعيه ليردم الحفرة التي تفصل بينهما. لكان فهم بأنها تحبه بصدق واخلاص. ولكنه لم يتحرك، وظل يحدق بعينيها الصادقتين.

«يجب أن أنزل الآن» قال بهدوء: «أسمع هدير سيارة البيطري».

«سأرافقك، أيمكنني الاتصال بأخي؟».

بعد أن طمأنت أخاها، ذهبت الى الاسطبل لتأخذ

حصانها. فرأت هناك مساعدة اندريه، انها شابة جميلة وأنيقة. وصلت السيدة دارتنل في هذه اللحظة أيضاً مع الولدين، فاستأذنت لارا لأنها أرادت أن تصل الى منزلها قبل حلول الظلام.

«لا تنسيا أنتما الاثنان» قالت للشقيقين مبتسمة: «لا تبتعدا كثيراً في المرة القادمة، فربما لن تجداني لانقاذكما!».

«من المضحك أنك أيضاً أنقذت والدنا ذات يوم» قالت جنيفر: «يبدو أنك ملاكنا الحارس!».

عندما امتطت حصانها، خرج بيتر من الاسطبل ولوّح لها بيده حتى ابتعدت.

هذه الليلة، ظل بيتر طويلاً وحده يستمع الى الموسيقى الهادئة وهو يشعر بالصداع القوي محاولاً أن يفكر بكل هذه التغيرات في الوضع التي لا تزال مضطربة في رأسه.

ان رواية لارا المختصرة وصراحتها وبساطتها في الشرح أربكته تماماً. منذ شهور كان يراقبها ويلاحظ في عينيها بريقاً لم يستطع فهمه! هل كانت تحاول اغراءه عندما استجابت لقبلاته بكل تلك الحرارة في الماضي؟ رفع يده الى رأسه ونهض ليطفأ الراديو. كان يرغب بالاتصال بها هاتفياً، لكنه تخلى عن هذه الفكرة على الفور. عموماً، ليس من عادته الاندفاع في عواطفه، ثم هو ليس فخوراً بنفسه عالما أنه آلمها كثيراً بكلامه في السابق. لماذا عليه أن يرفع اصبعه فقط لتركض نحوه؟ على كل، هي لن تفعل، ولذلك يجب أن يبدأ كل شيء من الصفر..

كانت مشاعر مختلفة تجتاح لارا وهي في طريق العودة الى المنزل. كانت تتساءل دون أن تصدق نفسها، هل حقاً لمحت حناناً في عيني بيتر عندما أخبرته الحقيقة؟ من أين جاءها هذا الاحساس بأن الأوان قد فات؟.

أهناك امرأة أخرى في حياته؟ على كل حال هو رجل كغيره من الرجال ولا يمكنه أن يعيش حياة النساك. كما وأن لارا ليست أول امرأة يصطحبها الى مطعم للعشاء ماذا يتخيل الآن؟.

كل هذه الأسئلة ظلت بدون أجوبة وتعذبها لدرجة أنها لم تنتبه لحصانها الذي كاد يتعرض لحادث على الطريق، فلجمت العنان بسرعة جنبتها الاصطدام بسيارة في الوقت المناسب.

يبدو انها فقدت عقلها! حسناً، لتترك الآن بيتر دارتنل يقوم بالمبادرات، لن تسمح لنفسها أبداً بالقيام هي بالخطوة الثانية للمصالحة.

توالت الأيام، وبدا بيتر لطيفاً معها ويرغب بالثرثرة. ذات مساء، طالت ثرثرتهما وفتح لها قلبه ليحدثها عن متاعبه.

«ان صحة أمي تقلقني، فهي متعبة جداً. كنت أنوي اصطحابها الى فرنسا لقضاء اجازة الصيف هناك معي ومع الأولاد. ان صديقاً لي سيعيرني منزله..».

«كم عمر والدتك؟».

«انها في الثمانين تقريباً. كان عمرها أربعين عاماً عند ولادتي».

أجرت لارا حساباً ذهنياً سريعاً ولاحظت أن بيتر يكبرها بثلاثة عشر عاماً. أهذا يفسر تحفظه؟ لكنه حدثها عن قلقه على صحة والدته، وهذا يكفي كدليل على ثقته بها.

في المنزل، ملّت لارا من سماع مارك يتحدث عن مشاريعه للزواج.

«أتمنى أن تكون اجازتك في نفس الوقت الذي سأسافر فيه مع هيلين لقضاء شهر العسل» قال لها مارك في المساء: «بإمكانك أن تهتمي بالمنزل والاسطبل، وسيساعدك اندريه اذا واجهتك المصاعب».

«أوه مارك، أنت غريب» قالت له بحدة: «أنت تعرف جيداً أنني لا أرغب برؤية اندريه أبداً! كما وأنني أيضاً بحاجة للاسترخاء والراحة، ولا أرغب بالعمل أثناء الاجازة. كما وأنه لدي مشاريع تختص بالاهتمام بتقسيم المنزل أثناء غيابك. سأتخذ احدى غرف الضيوف لتكون الصالون الخاص بي، وسأجعل المطبخ مجاوراً لغرفة نومي ويبقى لك المطبخ السفلي. هذا يجنبنا النزاعات فيما بعد».

«فكرة جيدة، سأحدث هيلين بالأمر».

تأثرت لارا لأن شقيقها لا يفكر الا بنفسه ولا يهتم لمستقبلها. تنهدت وقالت: «هذا أمر طبيعي!».

في مساء اليوم التالي، رن جرس الهاتف في المنزل، فرفعت السماعة ودهشت كثيراً عندما سمعت صوت بيتر.

«مساء الخير لارا. أيمكننا أن نقضي السهرة معاً غداً؟».

«بكل سرور، ولكن أتقيم حفلة؟».

«لا، ستكونين وحدك المدعوة».

«والأولاد؟ أيمكنني رؤيتهما؟».

«بالطبع، اذا كان هذا يسعدك، على كل حال، انهما يسألان عنك دائماً».

شعرت لارا بالخيبة. اذاً فكرة دعوتها جاءت من الولدين وليس منه هو.

«كيف حالة والدتك؟».

«ستتحدث بالأمر عند مجيئك. يصعب عليّ الشرح الآن».

«اذاً، الى اللقاء غداً».

«تصبحين على خير، لارا».

وضعت السماعة من يدها وقد أربكتها هذه المخابرة. هل صحة والدته تقلقه لهذه الدرجة؟

في اليوم التالي، لم تسمح لهما فرصة للتحدث وحدهما، على كل حال، سيكون لديهما متسع من الوقت في المساء. لكن اتصاله الهاتفي ودعوتها المفاجئة أثارت فضولها، فكانت تنتظر نهاية هذا النهار بفارغ الصبر، لكنها لم تكن قادرة على التنبؤ بتلك المفاجأة التي تنتظرها!

عندما نزلت من سيارتها أمام باب منزله، كان الولدان ينتظرانها بفارغ الصبر، واصطحباها على الفور الى الطابق العلوي، حيث كان بيتر يعد كأسين من المارتيني.

«تفضلي بالجلوس، أرجوك» قال بيتر وهو يقدم لها كأساً.

«والآن، أخبرني ما الأمر؟» سألته وهي تجلس.

«ألم يخبرك والدي بشيء؟» سألها دوريان.

«لا، أبداً، لكن سأحاول أن أحزر. أنتما بحاجة لي لاصطحابكما الى مكان ما: الى السوق أو الى حديقة الحيوانات؟».

«أوه لا، الأمر أجمل من ذلك بكثير. هيا، أبي أخبرها أنت».

«حسناً، سأشرح لك كل شيء. لقد جاء زميلي الدكتور تومر وفحص والدتي ونصحها بألا تسافر معنا الى فرنسا. فاقترح الولدان أنه ربما بإمكانك أنت أن تحلي محلها وتأتي معنا. هل أنت مرتبطة بمشروع آخر؟».

«لا، ولكن يبدو لي أن هذا غير منطقي!!..».

«لم لا؟» سألها بيتر: «الا اذا كنت لا ترغبين. الاجازات أصبحت قريبة».

«دوريان، جنيفر، أترغبان حقاً بأن أرافقكم؟» سألتهما لارا.

«أوه نعم، لو سمحت لارا! ستكون أجمل اجازة، سنلعب ونمرح ونسبح.. وأنت لن تعملي لأن هناك طاهية تهتم بالطعام».

«آه، هذا أمر مقنع» قالت ضاحكة: «حسناً، سأرافقكم اذا..».

التقت نظراتها بنظرات بيتر التي بددت آخر شكوكها.

«حسناً، سأتدبر أمري منذ الغد» أكدت لهم: «متى موعد السفر؟».

«في اليوم التالي على بدء اجازتنا المدرسية» أجابها

الولدان معاً بحماس كبير: «سنستقل القطار ثم السيارة، أهي بعيدة، يا أبي؟».

«لا، على الساحل عند حدود بريطانيا والنورماندي. انه مكان مناسب جداً للاطفال ولنا أيضاً» قال ملتفتاً نحو لارا: «اذاً، ما رأيك، لارا؟».

«سأكون سعيدة».

«عندما تكونين سعيدة، تصبح عيناك خضراوين!» قالت جنيفر.

«وكذلك أيضاً عندما تكون غاضبة» قال بيتر بمكر.

بعد لحظات، جاءت جانيت لتأخذ الولدين الذين أطاعاها بدون اعتراض، بينما ظلت لارا وحدها مع بيتر.

«هل أنت جائعة؟» سألها بيتر ليقطع الصمت بينهما: «لقد أعددت لنا طعاماً لذيذاً، والدتي لا تشعر بالشهية كثيراً هذه الأيام، وجانيت قُدم لها الطعام في غرفتها. اذا كنت تفضلين، بإمكاننا تناول العشاء في الخارج».

«لا، بل أفضّل أن نتناوله هنا. أتريد أن أساعدك بتحضير الطعام؟».

«بالتأكيد لا! بإمكاني تحضيره وحدي، لكنك ستساعدينني فيما بعد، اذا أردت».

تبعته الى المطبخ وتأملته وهو يرتب المائدة ويضع عليها زجاجة النبيذ الأبيض، وبالوقت نفسه كان يحدثها عن أمه.

«للحقيقة، مرضها ليس خطيراً، لكن قلبها متعب ويجب عليها أن تتجنب الاجهاد. أتعلمين أن دوريان وجنيفر هما الذي اقترحا فكرة مرافقتك لنا الى فرنسا؟».

«هذا يؤثر بي حقاً. أنت أيضاً بحاجة للراحة والاسترخاء. بعد حادثك، عدت باكراً لمزاولة عملك في المستشفى».

«نعم، أنت تعرفين جيداً طبيعة عملنا لارا. في هذه الحالات، يجب أن ننسى تعبنا، لكني حقاً أنتظر هذه الاجازة بفارغ الصبر».

«لكنك مصر على اصطحاب ممرضة معك» قالت ممازحة.

التقت نظراتهما، فمد يده وأمسك يدها بحنان.

«أوه، بيتر..» تمتمت مرتبكة.

نهض بيتر ودون أن يرفع نظره عنها، ضمها الى صدره وتنهدت بسعادة. أدركت أنه سيستسلم أخيراً لعواطفه وتأكدت أنه بحاجة اليها.

رمت نفسها على صدره واستسلمت للمساته الدافئة. رفع شعرها الطويل برقة ولمس عنقها وقبلها قبلة خفيفة.

أخذت لارا ترتجف بين ذراعيه فضمها اليه أكثر، وفهمت أنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ مدة طويلة.

رفع رأسه أخيراً ونظر اليها مبتسماً وسألها: «اذاً؟ ألا تزالين مصممة على مرافقتنا؟».

«أكثر من قبل» تمتمت دون أن ترفع نظرها عنه.

«أنت متأكدة؟».

«ولماذا تسألني؟».

لم يجبها واكتفى بالابتسام.

تناولا العشاء بمرح وكأنهما أصبحا شخصاً واحداً.

«ما رأيك لو نشرب القهوة؟».

«بكل سرور، وبعدها سأذهب الى المنزل».

«لا يزال الوقت باكراً».

«لن أتأخر أكثر».

«حسناً، كما تشائين».

كان يتأملها بشغف وعاشا معاً لحظات لا يمكن نسيانها.

صمتا، وتمتعت لارا بهذا الصمت. لا يزال الوقت مبكراً للوعود والمشاريع. ففي الغد، سيعودان لدوريهما في المستشفى، هو الطبيب وهي رئيسة الممرضات المسؤولة عن مرافقته بجولته على المرضى والاهتمام بالملفات.

لكنهما هذا المساء، ليسا الا امرأة ورجل تولد الحب بينهما، فيجب الحفاظ عليه لينمو ويترعرع كالزهرة الرقيقة. كما وأنهما لم يكونا متسرعين وقد قررا أن يتركا الوقت ليزيد في حميمتهما.

سلكت لارا طريق العودة وهي ثملة من السعادة التي تنتظرها وسعيدة بالوقت الذي اختاره بيتر للسفر لأنه سيسمح لها بالعودة في الوقت المناسب لحضور زفاف شقيقها.

لكن كان يجب عليها أن تفكر بملابس مختلفة ستكون ضرورية لقضاء الاجازة.

في الأيام التالية، كان بيتر ولارا متحفظين جداً في المستشفى كي لا يلاحظ أحد أحاسيسهما الحميمة.

ذات يوم، استغل فرصة وجودهما وحدهما ليقترح عليها أن تأتي لتقضي السهرة عنده في المنزل قبل سفرهم.

«أتمنى أن تساعدي الولدين بحزم حقائبهما، فوالدتي متعبة، وأنا لا أملك متسعاً من الوقت لذلك».

وافقت لارا على الفور، لأنها لم تكن قد تمتعت برؤيته وحده منذ ذلك اليوم الذي قضت فيه السهرة عنده.

في يوم السفر، حملت حقيبتها وودعت شقيقها وخطيبته.

«وأخيراً، أصبح المنزل لكما وحدكما لأسبوعين بكاملهما».

لم يكن مارك راضياً عن سفرها مع د. دارتنل، لكنه لم يعترض لأن لارا راشدة ومسؤولة عن تصرفاتها.

خلال رحلة السفر، كان الشقيقان متحمسين جداً ووالدهما مسترخ تماماً، بينما كانت لارا سعيدة جداً لأنها ستقضي هذه الأيام والليالي مع بيتر في اطار جديد مع ولديه الذين أحبتهما كثيراً.

كان بيتر قد سبق له وزار هذه المدينة، فاستأجر سيارة خاصة لنزهاتهم.

عندما دخلوا المنزل، أبدى الجميع اعجابهم به. طلب بيتر من لارا أن تفتح النوافذ بينما ينقل الحقائب الى الغرف.

تفاجأت لارا عندما وجدت المطبخ مليئاً بالخضار والمعلبات.

«ستأتي الطاهية كل يوم لتهتم بطلباتنا» قال لها بيتر:

«انها تخدم عائلة صديقي منذ سنوات طويلة».

تناولوا العشاء بسعادة كبيرة، لكن بيتر لم يدع أي شيء من الحب يظهر على ملامحه أمام أولاده، ففهمت لارا تحفظه.

عندما نام الولدان، جلست لارا مع بيتر على الشرفة والتزم كلاهما بالصمت. الى أن تكلم بيتر أولاً: «ما رأيك بالجو هنا؟».

«أشعر وكأننا تركنا خلفنا كل متاعبنا».

لكنها أمام صمته، انحنت الى الأمام وسألته: «ما بك، بيتر؟ ألا تعتقد أن كل شيء على ما يرام في هذه الجنة؟».

نهض بيتر وأمسك يديها وساعدها على النهوض ثم ضمها الى صدره بحنان.

«اسمعي، لارا. أعلم الآن أنني أحبك، لقد انتهى وقت الشك وسوء التفاهم. أحبك و..».

«ماذا بيتر؟» قالت وهي تسند رأسها على كتفه.

«لارا، حبيبتي، لا يمكنني أن أطلب منك أن تتزوجي مني».

رفعت رأسها وابتعدت عنه.

«ولكن لماذا اذا كنت ترغب حقاً بذلك؟».

«أوه، أنت تعلمين أن هذه أغلى أمنياتي».

«اذاً؟» سألته وهي تنظر اليه بعينين يملأها الحب.

«اشرح لي السبب».

«أنت لا تزالين شابة والحياة أمامك، كيف يمكنني أن أطلب منك أن ترتبطي بعائلة؟ و..».

«أنت تفكر بوالدتك أيضاً بدون شك».

«نعم. أنا لست حراً لأبدأ حياتي من جديد حتى ولو كنت معجبة بالولدين».

«معجبة؟ بل أنا أحبهما كثيراً، بيتر. بالتأكيد، أنا فكرت بكل هذه الأمور، طالما أنني أحبك أيضاً. أتمنى أن أشاركك حياتك وكل مسؤولياتك، أرغب بأن تكون لي وأكون لك. لماذا تعقد الأمور؟ فإذا كانت أمك بحاجة للمساعدة، فلا تنسى أنني ممرضة».

«حبيبتي، هذا ليس ممكناً! هل أنت مستعدة لكل هذه التضحيات؟ لا أريد أن أفرضها عليك، لا أستطيع.. كما وأن هناك مهنتك..».

قاطعته بلمسة من يدها على شفتيه.

«إذاً، بيتر، هل ستطلبني للزواج؟ أرجوك..».

قبلها بحرارة قبل أن يقول: «لارا، أترغبين بالزواج مني؟».

«نعم، أوه، بيتر! وسيكون لنا أولاد أخرون، اليس كذلك؟».

«حبيبتي..» وأصبحت قبلاته أكثر حرارة ولارا لم تقاومه الى أن تركها وجلسا يتأملان النجوم بصمت.

لم يكونا يرغبان بحرق المراحل، وفضلا أن يتمتعا بكل دقيقة تمر. بالنسبة للارا انتهى وقت الانتظار، لقد عرفت أخيراً معنى الاتحاد التام مع الرجل الذي أحبته.